قبس من نور النبوة

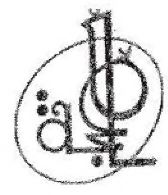


دكتـور
عبد الرحمن إبراهيم فودة

قبس من نور النبوة
دكتور عبد الرحمن إبراهيم فودة

قبس من نور النبوة

دكتور
عبد الرحمن ابراهيم فودة



الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار المحجة
للنشر والتوزيع

الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي - ص ب : ٣١٨٥٨
هاتف : ٦٤١٢٧٤٧ - فاكس : ٦٤١٧٦٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

فهذه الرسالة التي بين يديك أيها القارئ الكريم كانت في أصلها حلقات إذاعية، وقد أشار أحد الأحباب بنشرها لتعم الفائدة. فاستجبت لطلبه وآثرت أن أبقيها على حالها دون تغيير، وتتميماً للفائدة خرّجت ما يحتاج إلى تخريج من آيات وأحاديث ليطمئن قلب القارئ لسلامة المعلومة التي يقرأها وأسأل الله أن ينفعني بها وقارئها. آمين

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

سبعة سعداء

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

مستمعى الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وأهلاً بكم فى حلقة جديدة من برنامج (قبس من نور النبوة)

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشابٌ نشأ فى عبادة ربه، ورجلٌ قلبه معلق فى المساجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» (١).

أيها المستمع الكريم.. اليومُ يومُ القيامة.. ذلك اليوم

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الأذان، باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد ومسلم فى كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة. ح ١٠٣١.

الرهيب الرعيب، الذى تبدلت فيه الأرضُ غيرَ الأرض والسمواتُ.. الحر شديد، والزحام كثير.. ودنت الشمس من الرءوس، واختلط البشرُ بالوحوش، والجميع يبحث عن مخرج لشدة هول الموقف، فما أحوجهم إلى شئ من ظل يخفف عنهم عناء ما هم فيه..

وفى هذه الأثناء وقفت فئة قليلة من الناس فى ظل الله سبحانه وتعالى.. هؤلاء الذين اصطفاهم الله عز وجل بما قدموا من صالح العمل فى حياتهم الدنيا، وبما اتصفوا به من جميل الخلال..

يحدثنا النبى ﷺ عن هذه الفئة فى عرض جميل وبيان قوى أخّاذ ليحركَ نفوسَ أهل الإيمان، ويبث فيهم روح الجِدِ والإخلاص والعمل الصالح فيسيروا على النهج القويم والطريق الراشدة.

فهو أولاً يدعو من تولى أمراً من أمور المسلمين سواء كان أمراً عاماً أم خاصاً، صغيراً أم كبيراً أن يراعى العدل ويتجنب الظلم، فالعدل صفة من صفات الله عز وجل، وبالعدل قامت السموات والأرض، والعدل شريعة الله، والله تعالى يمقت الظلم، وقد حرمه على نفسه ونهى عباده أن يَظّالموا، قال تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨].

ثم يبين ﷺ للشباب كيف يكون الإقبال على الله وطاعته وعبادته منذ بدء حياتهم وهم يدرجون فى مدارج الصِّبا؛ ليكونوا بعد ذلك رجال المستقبل، وليحققوا جيلا مثالياً منشوداً يُصلحُ الله به البلاد والعباد. وهذا يلائم ثناء القرآن الكريم على هذه الفئة حين قال عن فتية أهل الكهف ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: ١٣].

كما أن الناظر فى سيرة النبى ﷺ وصحبه الكرام يرى أن الدعوة إنما قامت على أكتاف هؤلاء الشباب، مثل على بن أبى طالب، وأسامة بن زيد، ومعاذ بن جبل، وابن عباس وغيرهم.

والخصلة الثالثة التى أنقذت هؤلاء من حرِّ ذلك اليوم الشديد، ونقلتهم إلى ظل الله الكريم هى إشادة بذلك الرجل الصالح الذى عَمَرَ الإيمانُ قلبه واعتاد الغدوَّ والرواح إلى بيوت الله، فتعلقت جوارحه وقلبه بذكر الله فهو محافظ على الصلاة

فى المسجد، فلا يكاد يخرج منه إلا تتوق نفسُه إلى العودة إليه؛ لأنه ترك قلبه معلقاً فى المسجد، وفى هذا بعث للهمة لتتشرب القلوبُ حب الاجتماع والألفة وتتوحدَ صفوفُ المسلمين عن طريق اجتماعهم فى بيوت الله.

ولقد أثنى الله عز وجل على هؤلاء المحافظين على الصلاة فى المساجد حين قال سبحانه: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور آية٣٦:٣٨].

والخصلة الرابعة (ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) ففيها دعوة كريمة للحب فى الله ابتغاء وجهه سبحانه، لا لغرض دنيوى، ولا لكسب مادى أو مصلحة ما، وإنما الدافع الحقيقى هو المحبة الخالصة فى الله عز وحل، والحديث يبين أن هذين الرجلين إنما اجتمعا على محبة الله وحين افترقا إنما افترقا على محبة الله أيضاً.

والخصلة الخامسة (رجل دعته أو طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله) إن هذه الخصلة تُظهر أسمى ما تصورته البشرية من طُهر ونقاء، إنها طهارة الوجدان وصفاءُ الإيمان الذى يعصم صاحبه من الانزلاق فى وحل الرذيلة.. إن المتوقع فى مثل هذا الموقف أن يسيل لعاب الرجل وأن يندفع وراء شهوته لا سيما وأن الداعى هو المرأة وأىُّ امرأة، إنها ذات منصب يحقق الأمان من الفضيحة ويُغرى بقضاء المصالح، وهى ذات جمال يُغرى بالاندفاع الشهوانى نحو قضاء الوطر ورغم ذلك يمتنع، لا ضعفاً ولا خوفاً من أحد، ولكنه يمتنع خوفاً من الله ولسان حاله يقول (معاذ الله) كما قالها يوسف حين دعته امرأة العزيز.

والخصلة السادسة (عن رجل يتصدق بصدقة، يخفيها ولا يعلنها، يسترها ولا يكشفها، إنه لا يريد بصدقته ثناء الناس وأن يعرف الناس عنه أنه رجل البر والإحسان، وإنما قصدُه ودافعُه هو رضوان الله عز وجل، ومن ثمَّ فهو يخفى هذه الصدقة عن أقرب ما يتصل به، إنه حين يدفعها بيد، يخفيها عن اليد الأخرى التى خلع عليها الحديث صفة العلم والمعرفة، وشخَّصَها كأنها كائن بشرى يرصد حركات الآخرين (فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه).

ثم يُختم الحديثُ ببيان فضل البكاء من خشية الله تعالى، فيذكر رجلاً صادقاً فى بكائه وخوفه من الله، فهو لم يبكِ أمام الناس ليظهرَ بمظهر الخائف من الله وتكون حقيقتهُ البعد كل البعد عن ذلك، وإنما يبكى حين يخلو بربه فيناجيهِ، ويعترفُ بما جنت يداه، ولسان حاله يقول مع القائل، ولله درُّه:

خبأتُ كم خبأت آهاتى وتعلم كم أُخبى
يا سيدى يا صاحبَ الباب الكريم وأنت حسبى
قد هدنى الموج العتىّ وحرت فى دربى وحبى
لتكن عيونك مرفئى إذ ضاع تحت الليل دربى
سامحت موسى قاتلاً وكشفت كربته بتوبِ
إنى ببابك أستجيرُ فإن أجرت فأنت حسبى

فتفيض عيناه بالدمع، رهَباً من خوف العقاب، ورغباً فى حسن لقائه بربه.

هذا وبالله التوفيق والله أعلم

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

قناعة وعفة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

أيها المستمع الكريم..

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وأهلاً بكم فى حلقة جديدة من برنامج

«قبس من نور النبوة»

نسمع فى حياتنا المعاصرة أن إنساناً ذهب إلى قاضٍ ليحكمَ له فى قضية بينه وبين أخيه، أما قضية اليوم التى أُحدث حضراتكِم عنها فهى من الغرابة بمكان، إذ يذهب المرءُ إلى القاضى ليحكمَ فى القضية لأخيه لا له، وفى المقابل يأتى أخوه إلى القاضى نفسه لا ليدفع عن نفسه تهمة، وإنما ليدفع حقه لأخيه عن طيب خاطر، ورضا نفس، ولكن كيف كان ذلك؟

تعالوا بنا مع أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وهو يحدثنا عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها «وقال رسول الله ﷺ: **اشترى رجل من رجل عقارًا له فوجد الرجلُ الذى اشترى العَقار فى عَقاره جَرَّةً فيها ذهب. فقال له الذى اشترى العقار. خُذْ ذهَبك مِنّى. إنما اشتريتُ منك الأرض ولم أبتعْ منك الذَهبَ فقال الذى شرى الأرض: إنما بعتُك الأرضَ وما فيها. قال: فتحاكما إلى رجلٍ. فقال الذى تحاكما إليه: ألكما ولد؟ فقال أحدهما: لى غلامٌ. وقال الآخر: لى جارية. قال: أنكحوا الغلام الجارية. وأنفِقوا على أنفسِكما منه وتصدقا]**[1] رواه الإمام مسلم فى صحيحه.

هذا الحديث يقص علينا قصة رجال ثلاثة، انطَبعوا على الخير، وترفعوا عن الطمع. كان المبتاع أميناً فلم يُخْفِ خبرَ الكنز منتهزاً أو منهوماً. وكان عفيفاً زاهداً فلم يطلبْ شركة فيه. وكان وَرِعاً ملتزماً فنظر إلى عقد البيع ونوع المبيع فبرئ مما زاد، ورآه حراماً على نفسه. وكان البائع يشبهه حذراً من الغدر، وخوفاً لمغبة الطمع، ونأياً عن الشبهة. نظر إلى العقد ولم يفصِّل إجمال المبيع فلم يغلبه بريق الذهب على الوازع. فرفضَ الذهبَ ليسلمَ الدِّين. وكان الحاكم مُلهماً سديد الحكم، فسوّى بين المحتكَميْن باجتهادٍ صالح ذكىّ، وأرضى الله وأنصف المحتكمينْ فى حكومته.

(١) صحيح مسلم بشرح النووى. كتاب الأقضية. باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين. رقم ١٧٢١ حـ ١٢/ ٢٩.

والحديث كما ترى أخى المستمع الكريم. قصةٌ، والنفوس تسكُن للقصص، والقلوب تهشُّ للحكايات، فإذا كانت هادفةً ترسَّبت منها بالتأثير أهدافُها.

مقدمة.. اشترى رجل من رجل عَقارًا.. فوجد الذى اشترى العقار فى عقاره جرّةً فيها ذهب رزق جميلٌ.. ولكن ماذا صنع؟

تأتى العقدة.. فقال للبائع: خذ ذهبك فإنما اشتريتُ منك الأرض ولم أبتع الذهب..» هل فرح البائع بالذهب.. كلا.. بل ردّه عنه قائلاً: إنما بعتك الأرض وما فيها..

ثم يأتى الحلُّ.. لم يقبل المبتاعُ الذهبَ.. ولم يقبل البائعُ الذهبَ.. لا بد من رفع القضية للفصل (فتحاكما إلى رجل) تُرى كيف حكم الرجل؟ ولأى دليل استند؟ إنه لم يجد الدليل فاجتهد ليصل إلى ما يطمئنُ إليه من عدل. (فقال الرجل ألكما ولد؟ فقال أحدهما: لى غلام. وقال الآخر: لى جارية. فقال: أنكحا الغلام الجارية وأنفقا عليهما منه وتصدقا) كم كان متهللاً فرحاً ذلك القاضى لأن اللهَ وفقه للرأى، ثم لأن الله وفّقه لتحقيق ما اهتدى إليه.. إنها ثمرة الخير والأمانة والعفة فى نفوس الجميع.

وتأمل معى أخى المستمع بركة هذه الأمانة والعفة.. لقد كانت البدايةُ مجردَ بيعة يفترقُ بعدها البيّعان، وينتهى الأمر عند هذا الحد، ولكن لأن كلاً من البائع والمشترى أمين وعفيف، فقد تمت البيعة وقد الْتَأَمَ الشملُ فإذا البيتان بيتٌ واحدٌ، وإذا الأسرتان أسرةٌ واحدة، ويُسدلُ الستار على صورة من الفرح والعرس الجميل.

هذا... والله تعالى أعلم

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

اتقوا الظلم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد...

أيها المستمع الكريم... سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وأهلاً ومرحبًا بكم فى حلقة جديدة من برنامج «**قبس من نور النبوة**»

روى مسلم [1] عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم. حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

مستمعىَّ الكرام

يبين لنا هذا الحديث الشريف عاقبة الظلم ومصيرَ الظالمين، ذلك المصير المشئوم لأنه يكون يوم القيامة ظلامًا حالكًا يحل بصاحبه فلا يرى طريقه ولا يعرف إلى أين يمضى أو كيف يسير؟

(١) فى كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم رقم ٢٥٧٨.

بهذا التعبير الموجز عن مصير الظالمين ينفر النبىُّ ﷺ من الظلم بجميع أشكاله وألوانه، ويُحذر من عاقبته التى هى أسوأ عاقبة ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] وليس هذا فحسب، بل إن الظالم سينتقم الله تعالى منه فى الدنيا قبل الآخرة، فإذا تأخر عنه العذاب، فليس هذا إهمالاً من الله، بل إنه زيادة فى عذاب هذا الظالم

واستدراج له، وفى ذلك يقول ﷺ: «إن الله تعالى يُملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وتلا قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾» [هود ١٠٢].

وأقبح أنواع الظلم وأبشعُه صورةً أن يظلم المرء قريبَه أو صديقَه أو من يجبُ الإحسانُ إليه والعطفُ عليه، ولقد صدق القائل:

وظلمُ ذوى القربى أشدُّ مضاضةً
على النفس من وقع الحُسَام المهنَّد

وفى الحديث تحذير من مرض اجتماعى فتاك، ألا وهو الشحُّ والبخل. البخل يكون بالمال، أما الشح فيكون بالمال وبعمل الخير، فهو أعم.

والمعنى: اتقوا شدة البخل الذى يُعرِّضُ المجتمع للهلاك لأن

المجتمع المسلم هو مجتمعُ التكافل والتضامن والتعاون على البر والتقوى بين أفراده، إذ يعود غنيُهم بما آتاه الله من مال على فقيرهم، فيتحققُ الوئامُ وتفشو المحبةُ بين الناس. أما إذًا فشا فيهم البخل، عمَّت العداوة والبغضاء وأكَلَ الحسدُ والحقدُ قلوب الفقراء على الأغنياء، ولذا كان البخل سبباً فى هلاك السابقين، حيث دفعهم ـ وتأمل معى لفظة دفعهم ـ فترى صورة إنسانٍ يدفعُ آخرَ لحتفه، دفعهم إلى سفك الدماء، وقتل النفوس، واستحلال المحارم التى حرمها الله عز وجل.

فما أقبح الظلمَ وما أشنعَ البخلَ والشح من جريمةٍ عاقبتها وخيمة تسبب الشقاء والخسران المبين، وتعجِّل بخراب المجتمعات.

ومن هنا ندرك قيمة دعاء النبى ﷺ حين يتعوذ بالله تعالى من أن يَظْلم أو يُظلم وحين يتعوذُ بالله عز وجل من الجبن والبخل.. جعلنا الله تعالى من أهل العدل وجنّبنا البخل والشح إنه ولى ذلك والقادر عليه.

تأمل معى أخى المستمع قول النبى ﷺ «**اتقوا الظلم**» الذى يشبّه الظلَم بمن يريد أن يقتحم عليك حياتك أو يهجم عليك ليفتك بك، فيأمرك ﷺ بالحذر منه والابتعاد عنه، والظلم هو التصرف فى حق الغير بغير حق أو هو مجاوزة الحد. وهو يشتمل على معصيتين:

الأولى: أخذ حق الغير بدون حق.

الثانية: مبارزة الله تعالى بالمخالفة والمعصية

وغالباً ما يقع الظلم بالضعفاء غير القادرين على الانتصار لأنفسهم، وإنما ينشأ الظلم من ظلمة القلب، فلو استنار القلب اعتبر.

ولقد ترتب على نتيجة الظلم فى الدنيا أن يكون ظلماتٍ يومَ القيامة، وكأن فى إيثار الجمع (ظلمات) بدلاً من (ظلام أو ظلمة) إشارةً إلى تعدد ألوان الظلم الحادث من البشر، فهذا يظلم نفسه، وهذا يظلم زوجه، وثالث يظلم أبناءه وغيرهم، ويترقى بعضهم إلى أعلى أنواع الظلم وهو الشرك بالله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان ١٣].

لذا آثر الحديث لفظة (ظلمات) أى شدة الظلام بحيث لا يرى المرء ما يحيط به، وكأن الظلم حاجز عن رؤية الأشياء، وقد طمس على قلب الظالم فلا يرى شيئاً بل هى ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

هذا... والله تعالى ولى التوفيق

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

فضل التوبة
وفرح الله بالتائب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

أيها المستمع الكريم... سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وأهلاً ومرحبًا بكم فى حلقة جديدة من برنامج «قبس من نور النبوة».

يقول الشاعر:

إذا أُخبرت عن رجل بريء من الآفات ظاهره صحيحُ
فسلهم عنه هل هو آدمى؟ فإن قالوا نعم فالقول ريحُ
ومن إنعام خالقنا علينا بأن ذنوبنا ليست تفوح
فلو فاحت لأصبحنا هروباً فرادى فى الفلا لا نستريحُ

أيها المستمعون الكرام لا شك أننا كلّنا ذوو أخطاءٍ وذنوب.. ولكن هناك فرق بين مذنب ومذنب. مذنبٍ تلهب المعصية نفسه وتَقَضُّ عليه مضجعَه فلا يقر له قرار. ومذنبٍ لا يبالى بأى وادٍ من أودية الذنوب هلك...

حول هذا المعنى يحدثنا النبى ﷺ.. فقد روى البخارى ومسلم[1] من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن المؤمن يرى ذنوبه، كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه. فقال بيده هكذا. ثم قال: للهُ أفرحُ بتوبة عبده، من رجلٍ نزل منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلتهُ، عليها طعامه وشرابُه، فوضع رأسه، فنام نومة فاستيقظ، وقد ذهبت راحلتُه. حتى اشتد عليه الحرُّ والعطشُ أو ما شاءَ اللهُ. قال: أرجع إلى مكانى. فرجع. فنام نومة. ثم رفع رأسه. فإذا راحلته عنده».

نحن أمام مَثَل من أمثلة الأدب النبوى العالى. تقوم فكرته على المقارنة بين خوف المؤمن من ذنوبه وإن قلّتْ، واستهانة الفاجر بذنوبه وإن كثُرت،

ثم دعوة صادقة لكل من تلبّس بالذنب أن يسارع بالدخول فى باب التوبة إلى الله الذى يفرح بعودة التائب إلى رحابه.

يقوم الحديث على ثلاثة مشاهد لبيان الفكرة المشار إليها سلفاً.

(١) البخارى كتاب الدعوات باب التوبة. ومسلم كتاب التوبة .باب فى الحض على التوبة والفرح بها.

المشهد الأول: يصور لنا المؤمن تتوالى على وجدانه أحداثُ الماضى المُذنب وتتساقطُ على حسِّه وفى رُوعه مقامعُ العقاب فى الآخرة، فتأخذهُ رعداتُ الخوفِ المُفزع والوجلُ من هذا الخطر الذى هو حقيقةٌ لاَ انفلات منها. يصوره لنا برجل قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه. وتأمل معى أيها المستمع الكريم لفظة (الجبل) وما توحى به من ضخامة وصلابة وجهامة، وقسوة واستطالة، وهى معانٍ مستقرة فى أذهان المخاطبين فى صحراء العرب بشكل خاصٍّ ثم فى كل ذهن إلى يوم القيامة بشكل عام وتخيل قعقعة الصخور المتهاوية المتدافعةِ من علٍ، وانتقاضَ الجبل فوق رأس المسكين تدكُّها مع الأرض دكًّا..هكذا يصور لنا النبى ﷺ مدى أثر الذنب فى القلب المؤمن، واستشعاره خوفَ الله فى شديد عقابه، لتكون الرغبةُ فى التوبة من هذه الذنوب واللهفةُ عليها، كلهفة ذلك المكروب تحت الجبل إلى النجاة.

والمشهد الثانى: يصور لنا استهانة الفاجر بالذنب، وفقدانه معاتبة الضمير، لبلادة حسِّه، فقد اعتاد الإثم وارتكس فى حمأة الذنب، فلا يجد حرجاً، ولا وخزاً من ضمير يوقظ فيه ما يرده إلى حميّة الإيمان..

والنبى ﷺ يصور الذنوب فى غثاثتها وكراهية النفس السليمة لها، وذلك الفاجر يواقعها فى غير مبالاة.. بالذباب الذى يَطِنُّ فوق أنف فاسدة الذوق، ويمضى عنها ليعود إليها فلا تلتفت ولا تنتبه وغاية ما يمكن أن يفعله ذلك الفاجر أن يشير بيده ليطرد الذباب، ثم لا يلبث أن يمل.. وهذا غاية بلادة الشعور الذى لا يوجد له مثيل إلا فى قطعان الخنازير وسِفلة المخلوقات.

وإنها لصورة تصنع جواً كريهاً ومنفّراً من مقارفة الذنوب أو مقاربتها.

ويأتى المشهد الثالث: فى عبارةٍ أطول من سابقيْه، توضح فرح الله تعالى بتوبة عبده العاصى..

إنه مشهدُ رجلٍ نزل منزلاً موحشاً، وليس معه من وسائل الحياة إلا دابته عليها طعامه وشرابه، فهى إذاً كل ما يربطه بالحياة ويهبُه الأمل فى قطع هذا المكان الموحش، ثم نزل الرجل يقيل لحظاتٍ بعد أن هدَّه الرحيلُ، وعناءُ السفر، فنام نومة ثم استيقظ على الفزع الذى هز كيانه، لقد فقد راحلته، فانطلق المسكين مروَّعًا يعدو فى كل اتجاه على غير هدى، بحثاً عن راحلته الضائعة، حتى كلّت قدماه، وأنهكه التعب، وبلغ به الحر

والعطش مبلغاً، فجرجر أقدامه إلى المكان الذى كان ينام فيه، فنام نومة مكسورة الوجدان محترقة الأنفاس وهو فى انتظار الموت، ثم تقلب ورفع رأسه فإذا راحلتُه عنده.. كم يكون فرح ذلك الرجل براحلته.. يُبين لنا النبى ﷺ أن الله تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد العاصى من ذلك الرجل براحلته الذى أخطأ من شدة فرحه فقال (اللهم أنت عبدى وأنا ربك)..

إنها إذاً دعوة إلى رحاب الله الكريم تفيض بالحب والحنان لكل مذنب خطّاء يعلم أن له رباً يغفر الذنوب ولا يبالى، وأن باب توبته مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها..

فلنسارع أيها الإخوة الكرام بالتوبة إلى الله تعالى الذى يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل وينادى الشاردين التائهين ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر آية ٥٣].

هذا... والله تعالى أعلم.

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

حتى لا تغرق السفينة

حمدًا لله وكفى، وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى وبعد.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وأهلاً ومرحبًا بكم فى حلقة جديدة من برنامج « **قبس من نور النبوة** »

أيها المستمع الكريم..

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سنة الأنبياء عامة، ونبينا ﷺ خاصة، وهو وسيلةُ الحفاظِ على سلامة الأمة ووقايتها من عوامل الانحراف، ولقد أعد الله تعالى للقائمين به أجرًا عظيمًا. كما أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرسبب للعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة.«إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»[1].

ومعنا اليوم حديث يتجلى لنا فيه مغبةُ تركِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

روى البخارى وأحمد والترمذى عن النعمان بن بشير رضى

(١) أحمد عن أبى بكر. صحيح الجامع ١٩٧٤.

الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قومٍ استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على من فوقهم فآذوهم، فقالوا: لو أنا خَرَقْنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ مَنْ فوقَنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونَجَوْا جميعاً»[1]

هذا تمثيل لأولئك الذين أخطأوا الطريق وضلوا عن سواء السبيل، ففهموا حريتهم فهماً سقيماً، وساروا فى هذه الحياة على غير هدى،

بل حَسَب أهوائهم وشهواتهم.. وتمثيلُ آخرُ لأولئك الذين يَرون المنكر ويسكتون عليه، فلا تتمعر وجوههم غضبًا لله، ولا تتحرك نفوسهم لتغيير ذلك المنكر، بل يغمضون أعينهم عما يدور حولهم من ارتكاب المخالفات والموبقات، وكأن الأمر لا يعنيهم فى كثير أو قليل، ويظنون فى أنفسهم الصلاح والفلاح.

فالحديث إذاً تصوير للمجتمع بما فيه من أخيار وأشرار، متقين وفجار، يشبههم بركاب سفينة فى بحر خضم متلاطم الأمواج، تمخر السفينة عُبابه، وقد انقسم الركاب إلى قسمين،

(١) أحمد فى المسند ٤/ ٢٦٨ والترمذى ٢/ ٢٦، والبخارى ٢/ ١١١ – ١٦٤.

كلٌ أخذ مكانه بعد الاستهام والاقتراع، فصار قسمٌ أعلى السفينة يتمتعون بروعة الطبيعة ونضارة الحياة، وينعمون بوسائل الرفاهية والراحة، من عذب الماء، ووثير الفراش، وخدمٍ يسعون فى تلبية رغباتهم وحاجاتهم.

والقسم الآخر صار فى أسفل السفينة، لا ينعمون بما نَعِمَ به مَنْ فوقهم حتى الماءُ كانوا يجلبونه من أعلى. وهنا خطرت لهم فكرة أن يثقبوا أسفل السفينة ليستخرجوا الماء من البحر، فلا يُتعبون أنفسهم فى حمل الماء، ولا يزعجون جيرانهم، فبدأوا بتنفيذ ما أرادوا وقرروا ثقب السفينة، فاستخرجوا معاولهم، وراحوا يضربون فى السفينة. وسمع الذين هم فى الطبقة العليا أصوات المعاول فهُرعوا نحو إخوانهم ووقفوا فى وجوههم يريدون منعهم، ولكن هؤلاء استاؤا من تدخل إخوانهم وقالوا: هذا مكاننا ونصيبنا نصنع فيه ما نشاء، إنها حريتنا فإن تركوهم وما أرادوا هلك ركاب السفينة جميعاً. وإن أصروا على منعهم وأخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً.

وهكذا نحن فى حياتنا، نعيش على ظهر الأرض كركاب السفينة، فينا الطائع والعاصى، والبر والفاجر، فإن تُرِكَ أهل الشر والفساد يعيثُون فى الأرض، يسرحون ويمرحون، دون أن يوجِّه لهم أهل الخير والصلاح النصحَ، أو يمنعوهم من اقتراف

الموبقات هلك الجميع ونزل عقاب الله وإن منعوهم من الفساد والإفساد رست بهم السفينة على بر الأمان.

وفى الحديث إشارة إلى أن القائمين بأمر الله من الدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هم الأعلون، وأن الذين يتخبطون فى ظلمات المعاصى هم الأدنون. وكلها من مفردات حياتنا اليومية، سهلة النطق، واضحة المعنى وتأمل معى ـ أخى الكريم ـ ألفاظ الحديث، واستخدام الصور البيانية، والمحسنات البديعية التى تزيد القارئ وضوحاً فى الفكرة، ومعرفة بالغرض.

ـ تشبيه القائم على حدود الله بمن سكنوا أعلى السفينة، والواقع فى حدود الله بمن فى أسفلها.
ـ والطباق أو التضاد بين أعلاها، وأسفلها/ وبين القائم والواقع.
ـ والجناس فى قوله (خرقْنا ـ خرْقاً)
ـ والتكرار فى لفظة (نجوا) و (ونجوا جميعاً)

وهكذا يتضح لنا من الحديث أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو طوق النجاة لجماعة المسلمين وأن تركه سبب الهلاك والضياع.

هذا... وبالله التوفيق ومنه الهداية

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أنواع الأرض

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد،

مستمعى الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وأهلاً بكم مع « **قبس من نور النبوة** »

أخى المستمع الكريم:

روى البخارى ومسلم[1]

عن أبى موسى الأشعرىّ رضى الله تعالى عنه، عن النبى ﷺ قال: «**إن مثلَ ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً. فكانت منها طائفة طيِّبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير. وكان منها أجادِبُ أمسكت الماء. فنفع الله بها الناس. فشربوا منها وسَقَوْا ورَعَوْا. وأصاب طائفة منها أخرى. إنما هى قيعانٌ لا تُمسك ماءً ولا تُنبت كلأً. فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُه فى دين الله، ونفعَه ما بعثنى الله به. فَعلِم وعلَّم. ومَثَلُ**

(١) البخارى كتاب العلم باب فضل من عَلِم وعلّم. ومسلم كتاب الفضائل باب بيان مثل ما بعث النبى ﷺ به من الهدى والعلم.

من لم يرفعْ بذلك رأساً. ولم يقبلْ هدى الله الذى أُرسلتُ به».

يصور هذا الحديثُ أحوالَ الناس مع شريعة الإسلام، فيجعلُهم طائفتين: الأولى منهما فى قسمين: نافعةٍ منتفعة. أو نافعة فقط.

والثانية غير نافعة ولا منتفعة. ويرشد إلى هذه القسمة نهاية الحديث (فذلك مَثلُ من فَقُه فى دين الله.. ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأساً).

ويستخدم الحديث ضرب المثل وهو من الأساليب التى تشوق السامع إلى الخير فيشرئب له عنقه، وتصغى له أُذُنُه، فيترسخُ المعنى فى نفسه. فتمثيل مَنْ فَقُه فى دَينْ الله تعالى، وانتفع بما بُعث به رسولهُ ﷺ فَعلِم وعلّم بالطائفتين الصالحتين من أرض طيبة، فى صورة حسية أَوْفَت بالغرض وملأت النفس إعجاباً وروعة. تأمل معى:

١ـ كلأٌ وعشب كثير/ أنجبته الأرض غِبَّ الغيث/ جَنَّة فينانة فيها الخير والبركة/ والزيادة والنماء/ ومتعة القلب وبهجة الخاطر كم يعرفُ العربى فى صحرائه المضنية قيمة هذا التمثيل؟

٢ـ ومياهُ ظاهرة فى هذه البوادى، تجمع الرائح والغادى، ويشربُ فيروى، ويسقى سواه، ويزيدُ فيزرعُ.. كم تكونُ هذه الأرض

نافعةً/ وكم يكون الرضا بها، والدعاء لها بالخير والصلاح؟

أليس ضمن هذا تجسيمُ الدِّين الذى جاء به النبى ﷺ فى صورة الغيثِ المغيثِ الذى تقام له الأعياد، وتزف البشرى عند أهل البادية والبعيدين عن المنابع والأنهار؟

يكفى الطائفةَ الأقلَّ انتفاعاً من أختها دعاءُ رسول الله ﷺ فى قوله «**نضّر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمعه، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامع**».

وقوله «**فَرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه**».

إن هذا التمثيل حافز للعاقل على حرصه أن يكون فى الأمثل من هذه الطوائف.

ويأتى تمثيلُ الطائفة التى لم ترفع بالدين رأساً ولم تقبلْ هُدى الله بالطائفة من الأرض التى خابت وخاب قاصدُها، وبارت وباءت بكآبة الوجه والمنظر وسوء المصير، حتى لا يعرف خبرَها مرتحلٌ إلا نأى بجانبه عنها حذر الموت والهلاك.

إن تمثيلها بهذا حامل للنفس على الأناة والتهدّى، ودافعٌ لها إلى المقارنة والنظر حتى لا تكون فى الهالكين.

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الصلاة .. الصلاة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.. مستمعي الكرام.. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وأهلاً بكم مع (**قبس من نور النبوة**).. حديثنا اليوم عن ركن عظيم من أهم أركان الإسلام..

أخي المستمع الكريم

لقد أهمل كثير من الناس هذا الركن، وعدوه عبئاً ثقيلاً عليهم، وإذا ما ذكرهم أحدٌ به التمسوا لأنفسهم ألف عذر وعذراً، فتعللوا بأنهم مشغولون بأمور هامة، واعتبر أحدهم عملَه عبادةً، واعترف بعضهم بالتقصير ودعا بالهداية، وجاهر فريقٌ آخر بالمعصية، وبدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا أنفسهم دار البوار ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [المدثر ٤٩:٥١].

أخي الحبيب : إن حياة الإنسان تستدعي الطعام والشراب، ذلك لأن بهما قِوامَ الجسد ومادةَ العيش غير أن هناك أموراً،

الإنسانُ أشد حاجة إليها، ولا يستطيع أن يستغنى عنها إنها شعائر الدين، وعلى رأسها الصلاة فهى قوامُ الروح ومادة الطمأنينة تسمو بصاحبها وترفعه من سفاسف الأمور فيستقيم فى حياته على الجادة، استقامته بين يدى ربه فى الصلاة.

ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات. ما تقولون؟ أيُبقى ذلك من درنه شيئًا؟ قالوا: لا يُبقى ذلك من درنه شيئًا. قال: فذلك مثلُ الصلواتِ الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»

يقرر النبي ﷺ لأمته فضيلةَ الصلاة وعظيم أجرها ليصبروا على أدائها في أوقاتها، فمثَّل المؤمن الذي يُعِدُّ نفسه للصلاة فيصليها، ثم يُعد نفسه للصلاة فيصليها حتى يُتم فرضَ اليوم، بحال المؤمن الذي يمرُّ ببابه نهرٌ فهو يغتسل فيه خمس مرات كل يوم.

فتكرار الصلوات يمحو الخطايا، كما أن تكرار الاغتسال لا يُبقى من الدرن شيئًا. وهنا يتنقل المؤمن كلما توضأ ليصلي، أو كلما سمع النداء إلى تصور نهرٍ لا يُجهدُه بُعْدُه، إذ هو قريب ببابه.

وتصور دَرَن يؤذيه بقاؤه، وتصور اغتسالٍ يُورثُ النشاط ويُزيلُ الدرن، فَيَرى نفسَه مندفعًا إلى الصلاه سعيدًا بها لينقىَ نفسَه مما يؤذيها، ويبرأُ مما يثقله.

ويبدأُ الحديثُ باستفهامٍ من النبى ﷺ ليُطيلَ الشوقَ ويَزيدَ الانتباه [أرأيتم لو أن نهراً..] وهو ﷺ لا يطلب منهم جواباً لهذا السؤال التقريرى ثم لا يلبث أن يتبعه بسؤال آخر: أيبقى ذلك من درنه شيئاً؟ وتأتى إجابتهم بالنفى: لا يبقى ذلك من درنه شيئاً تأمل معنى كلمة (نهر) التى توحى بالرِّقة والصفاءِ والعذوبة وقوله ﷺ (بباب) وهى توحى بالالتصاق بين النهر والباب، حتى لكأن الدارَ تجرى من تحتها الأنهار.. وكلمة (يغتسل) التى توحى بالتجدد والحدوث، وهذا الفعل وإن كان يتكرر خمس مرات وهى العدد المحصور فى اليوم،

فإنه يطّرد مع العمر بإضافة لفظة (كل)، ليوحىَ باتصال النعيم ودوامِه، فلا يُبقى هذا الاغتسالُ من الدرن شيئاً.

أخى الكريم... من التناسق الفنى الجميل فى هذا الحديث أن يجعل المعصية قذراً تتقزز منه النفس السوية وتنفر، والصلواتِ الخمسَ نهراً جارياً كثير الماء عَذْبه، لا يحمل خبثا، وهو بعد ذلك غير ملوث.

لذا.. أخى الحبيب فإن الصلاة فريضة الله على المؤمنين، وقد ورد الأمر بها فى آياتٍ كثيرة من كتاب الله كما فى قوله تعالى ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء ١٠٣] وقوله ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ [البقرة ٢٣٨]، وجعلها النبى ﷺ الركن الثانى من أركان الإسلام العظيم حين قال: بنى الإسلام على خمس.. شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة.. والصلاة تطهر النفس وتزكيها، وتهيىء العبد لمناجاة الله تبارك وتعالى فى الدنيا ومجاورته فى الآخرة، وهى تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾ [العنكبوت ٤٥].

ولعظم أهمية الصلاة كانت آخر ما وصى به ﷺ قبل رحيله إلى الرفيق الأعلى حين قال «الصلاة الصلاة.. وما ملكت أيمانكم».

فبادر أخى المسلم بالمحافظة على الصلاة جماعة فى المسجد حتى تُغفَر ذنوبك وتُمحى سيئاتك وتنال رضا الله عز وجل واعلم أن الصلاة أول ما يحاسب عليه العبد فإذا صلحت صلح سائر عمله.. واعلم أنه لن يغنى عنك أحدُ من الله شيئاً، ولن

يتحمل وزرك، ولن يدفع عنك أحد عذاب الله إن حل بك فإياك وتركَ الصلاة فإن تركها يورث الحسرة والندم فى يوم لا ينفع فيه الندم ويعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا..

ثم أترضى أخى المسلم أن يكون قول العلماء فيك إذا تركت الصلاة مترددًا بين الكفر والفسق؟!

ألا فشمِّر واجتهد وأقم الصلاة لوقتها فإن ذلك من أحب الأعمال إلى الله وقد سئل النبى ﷺ أى العمل أفضل؟ فقال عليه الصلاة السلام «الصلاة لوقتها».

وها هو حديث اليوم يلفتنا إلى أهمية الصلاة فى حياتنا وينبهنا إلى أنها سبب لتكفير خطايانا.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان والعمل الصالح...

أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه

والسلام عليكم ورحمة الله بركاته

إياك والمظاهر الخداعة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد... مستمعى الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وأهلاً بكم مع «قبس من نور النبوة».

أيها المستمع الكريم

معنا اليوم حديث شريف، يشتمل على - قصة بل قصتين - قصيرة تبين لنا مظهراً من مظاهر ضعف الإنسان فى هذه الحياة ألا وهو اغتراره بالمظاهر وانخداعه ببريقها دون أن يفطن إلى ما تخفيه فى طياتها من شر..

روى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة.. عيسى.. وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلى. جاءته أمُّه فدعَتْه فقال أجيبها أو أصلى؟ فقالت: اللهم لا تُمِتْه حتى تُرِيَه وجوهَ المُومِسات، وكان جريج فى صومعة فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً فقالت: مِنْ جريج، فأتوه، فكسروا صومعته، فأنزلوه وسبُّوه،

يتحمل وز
فإياك و
ينفع
الر ﷺ

لام فقال: مَنْ أبوك يا غلام؟ قال:
، من ذهب؟ قال لا إلا من طين.

ن بنى إسرائيل، فمرّ بها رجلٌ
للهم اجعل ابنى مثله، فترك ثديها
ب فقال: اللهم لا تجعلنى مثله، ثم أقبل على
ـ ثم مرت بأمَةٍ يقولون لها: زَنَيْتِ ـ سرقت ـ فقالت:
هم لا تجعل ابنى مثل هذه، فترك ثديها وقال اللهم اجعلنى
مثلها، فقالت: لِمَ ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبارة، وهذه الأمة يقولون سَرَقَتْ ـ زَنَتْ ولم تفعل.

ولننظر إلى الرضيع وأمه لنرى ما قصتها: أمٌّ فقيرة بائسة تقف على قارعة الطريق أمام الغادين والرائحين، تطعم وليدها من ثديها، وبينما هى على تلك الحال، إذ تجد نفسها فجأة أمام راكب ذى شارة، إنها أمام رجل عليه مظاهر العز والقوة والغنى، فاستشرفت نفسها أن يكون ولدها فى مستقبله كهذا الرجل فدعت أن يكون ابنها مثله... لكن الرضيع يعترض على هذا الدعاء ويدعو ألا يكون مثل هذا الرجل.

ثم ترى الأم صورة أخرى تناقض تماماً الصورة الأولى فهى ترى امرأة سوداء تُضْرَب لاتهامها بالسرقة والزنا.. فتسارع المرأة

بالدعاء ألا يجعل اللهُ ولدها مثل هذه الجارية.. فيدعو الرضيع أن يكون مثلها... وهنا يتراجعان الكلام معاً (الأمُ والرضيع).. فالأم حيرى من أمر ابنها.. تراجعه الحديث، وقد اطمأنت إلى نطقه غير المألوف، علها تجد عنده ما يريحها من هذه الحيرة المستبدة التى نشأت من التناقض بين دعائها له، ودعائه لنفسه، وإذا به يتجه إليها، يكشف لها ولنا السر فى تلك المفارقة، ويفسر ذلك الموقف الغامض العجيب ببيان حقيقة ذلك الراكب الذى يبدو فى مظهر الخير، وتلك الجارية التى تبدو فى مظهر الشر، مع أن الواقع أن كلا منهما على نقيض ما يظهر للناس من أمره، وهو كشف غيبى يجريه الله العلى القدير الفعال لما يريد على لسان هذا الرضيع.

مستمعى الكرام..

ما يقال عن الفرد فى قضيتنا هذه ـ يقال عن الأمم أيضاً فرُبَّ أُمَّةٍ صائلة، فى الأرض جائلة، تملأ القلوب هيبة وفزعاً، وهى من داخلها خاوية على عروشها، فجسدها معطوب، وأخلاقها مريضة، وضمائرها مستترة، تريك من نفسها الأمن وهى خائفة وتُظهر لك الشبع، وهى جائعة، يغتر بها المغرورون، ولكن الله عز وجل يكشف أمرها، ويهتك سترها، وعن مثل هذه الأمة يقول تعالى:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل ١١٢].

وعلى العكس من ذلك فقد كان الصحابة رضى الله عنهم أمة قليلة العدد والعتاد والمال والثروات، وكانوا فى ظاهر أمرهم ضعفاء، لكنهم كانوا عند الله عظماء، ولذا فقد أيدتهم ملائكة السماء.

هذا ابن مسعود يصعد أعلى نخلة فيعجب الصحابة لدقة ساقيه، فيبين لهم النبى ﷺ أنها عند الله عز وجل أثقل من جبل أحد. هكذا إخوتى الكرام بينت لنا هذه القصة كيفية النظر إلى الأشياء فلا نغتر بالمظاهر، وإنما نبحث عن الحق فى داخله، والله تعالى لا ينظر إلى صورنا وأجسادنا ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا.

هذا والله أعلى وأعلم ومنه الهداية

وإلى لقاء فى حلقة قادمة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

العقوق جريمة كبرى

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد،

مستمعى الكرام.. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.. وأهلاً بكم ومرحباً فى برنامجكم «**قبس من نور النبوة**» حلقةُ اليوم عن أمرٍ يُبغضه الشرعُ الحنيف، ونحن لا نتحدث عنه لأنا نحبُّه، معاذ الله، ولكن من باب:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقِّيهِ

ومن لا يعرفُ الخَير من الشر يقع فيه

إنه (عقوق الوالدين) الذى كثر وانتشر، وتعددت أشكالهُ وألوانه عافانا الله وإياكم من العقوق وشره..

وقد وردت الأحاديث الكثيرة فى النهى عن العقوق كما فى قوله ﷺ الذى رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا قلنا: بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، و كان متكئاً فجلس فقال: ألا وقولُ الوزر، وشهادةُ الوزر، فما زال

يكررها حتى قلنا ليته سكت» وكما فى قوله ﷺ «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» رواه البخارى ومسلم من حديث أبى بكرة نفيع بن الحارث رضى الله عنه.

وقوله ﷺ «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات، ووأد البنات وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه.

وخرج البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتمُ الرجلِ والديه» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتمُ الرجلُ والديه؟ قال: «نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسُبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسُبُّ أمَّه».

أيها المستمع الكريم.. إن الذنوب لتتفاوتُ بحسب مفاسدها، وإن عقوق الوالدين من أعظم هذه الذنوب، إنه نكران للجميل، ونسيان لحق الوالدين، واحتقارٌ لأصالة الإنسان.

لقد أمر الله عز وجل فى كتابه سبحانه بتوحيده وعدم الإشراك به، وقرن هذا الأمر بالإحسان إلى الوالدين ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ [النساء ٣٦] ﴿ وَقَضَىٰ

رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [الإسراء ٢٣] لقد أمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين لا سيما عند الكبر، وذكّر الابن بأنهما أحسنا إليه ورَبياه صغيرا، فالصغرُ ضعف، وبحاجة إلى رعاية وتعهد، وقد قام الوالدان بهذا الواجب خير قيام.

والكبر ضعف، وبحاجة إلى عناية ورعاية فليقم الابنُ إذاً بالمطلوب وليحسن إلى والديه، ولا يتأفف عندهما ولا ينهرهما وإنما يقول لهما القول الكريم الطيب.

وفى هذه الأحاديث تحريمٌ للعقوق وتشديد على التنفير منه، وبيانُ حرمة سب الآباء والأمهات، أو تعريضهما للسب والإهانة، وأن الطبع السليم المستقيم يأبى أن يسب الرجلُ والديه أو أن يتسبب فى سبهما، وهى دعوة لترك السباب والشتائم خشية أن يعود السب على والدى الشاتم.

أفلا يستدعى كل هذا أن يكون المرء بارًا بأبويه، منتهياً عن عقوقهما.

إذاً فلنستمع إلى بيان شافٍ يذكّرنا بحق الأبوين علينا، لا سيما الأم لعل الذين غَلبت عليهم شقوتهم أن يرجعوا إلى رشدهم، ويحسنوا معاملة آبائهم وأمهاتهم، فالأم هى التى «أرضعتك من ثديها لبنا، وأطارت من أجلك وَسَنا، وغسلت بيمينها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذا، وصيرت

حَجرها لك مهدا، وأنالتك إحسانا ورفدا، فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف حتى النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت أموالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها لاختارت حياتك بأعلى صوتها، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا، فدعت لك بالتوفيق سرًا وجهارا، فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك، وشبعت وهى جائعة، ورويت وهى ضائعة، وقدّمت زوجتك عليها بالإحسان وقابلت أياديها بالنسيان، وصعب عليك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير، وهجرتها ومالها سواك نصير، يا هذا نهاك الله عن التأفيف، وعاتبك فى حقها بعتاب لطيف، ستعاقب فى دنياك بعقوق البنين، وفى أخراك بالبعد عن رب العالمين، وتُنادى بلسان التوبيخ والتهديد، ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد.

ولا أريد أن أوذى أسماعكم أحبتى فى الله بصور من العقوق، غير أن أقسى صورة من صوره وأشدها إيلامًا صورة هذا العاق الذى يقتل أمه لحفنة من المال، والأكثر إيلاما هو توجع القلب المحزون قلب الأم الذى قتله ولدها.. استمع معى إلىهذه القصة الرمزية:

أغرى امرؤ يومًا غلامًا جاهلاً بنقوده كى ما ينال به الوطر

قال ائتنى بفؤاد أمك يا فتى ولك الجواهر والدراهم والدرر
فمضى وأغرز خنجرًا فى صدرها والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى فتدحرج القلب المقطع إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو معفر ولدى حبيبى هل أصابك من ضرر؟
فكأن هذا الصوت رغم حنوه غضب السماء على الغلام قد انهمر
فدرى فظيع جناية لم يجنها ولد سواه منذ تاريخ البشر
فارتد نحو القلب يغسله بما فاضت به عيناه من سيل العبر
ويقول: يا قلب انتقم منى ولا تغفر فإن جريمتى لا تغتفر
فاستل خنجره ليطعن قلبه طعنا فيبقى عبرة لمن اعتبر
ناداه قلب الأم كف يداً ولا تطعن فؤادى مرتين على الأثر.

... هذا هو قلب الأم.. وهذا هو حالُها معك.. ألا تتقى الله فيها.. وتحسنُ إليها.. وتدعو لأبويك معا ﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء ٢٤] جعلنا الله وإياكم من أهل البر والإحسان إلى الآباء والأمهات، وجنبنا وإياكم داء العقوق.

هذا وبالله التوفيق.. وإلى لقاء فى حلقة قادمة

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

البر بالوالدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد.

مستمعي الكرام.. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.. وأهلاً بكم ومرحباً في برنامجكم «**قبس من نور النبوة**»

أخي المستمع الكريم..

تحدثنا في لقاء سابق عن عقوق الوالدين، وكان لابد أن نتحدث عن بر الوالدين غير أننا قدمنا حديث العقوق من باب التخلية قبل التحلية، حتى نتجنب هذا الخلق الردئ والذي يبغضه الله عز وجل، وينفّر منه النبي ﷺ أشد التنفير.

ولأن الأشياء بضدها تتميز، فيجدر بنا أن نتحدث عن البر وفضله...

بر الوالدين يأتي في صلة الأرحام في الذروة، فهو من القربات التي أعدَّ الله سبحانه وتعالى لفاعلها الثواب العظيم، وهدد أولئك الذين يقطعونها بأشد العقوبات، فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد ٢٢:٢٤].

بر الوالدين أيها المستمع الكريم يعدل الجهاد في سبيل الله، وهو سبب لكشف الضر وزوال البلاء، والوالدان أوسط أبواب الجنة فإن شاء العبد أن يحفظ ذلك الباب فليبر والديه/ والبارُّ بوالديه مجابُ الدعوة في الدنيا، وهو يوم القيامة من السعداء.

إخوتي الكرام... إن أعظم حقوق الإنسان على الإنسان هي حقوق الأبوين في عنق الولد، بهذا أوصانا الله عز وجل، وخاطب فينا فطرتنا، إذ قرن الله الوصية بالإحسان إلى الوالدين بالأمر بعبادته سبحانه والنهي عن الإشراك به فقال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء٢٣]

وقال: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء ٣٦]

وما ذاك إلا لأن الله تعالى هو المتفضّل الأول بنعمة الوجود والتربية والحفظ ثم جعل الله تعالى الوالدين متفضلين بما جعل فيهما من قوى التوالد وعاطفة الحب والتضحية بالراحة في سبيل تربية الولد وتنميته ورعايته حتى يصير رجلاً نافعًا في الحياة.

لذلك جاءت مَرْتبة الأمر بالوفاء بحقوق الوالدين في الإحسان والبر والطاعة بعد مرتبة الأمر بالإخلاص في العبادة لله وحده تذكيرًا وإرشاداً للعباد.

عزيزي المستمع... كما جاءت الوصية بالإحسان إلى الوالدين في القرآن الكريم مقترنة بعبادة الله فقد جاءت الوصية بالإحسان إلى الوالدين مستقلة في بعض سور القرآن الكريم قال تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ ﴾ [العنكبوت ٨] فلا تطع والديك فيما فيه كفر بالله عز وجل أو معصية له؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكن مع هذا صاحبهما في الدنيا بالمعروف واستمر في الإحسان إليهما، والرفق بهما ورعايتهما وطاعتهما فيما لا معصية فيه لله عز وجل.

وفي سورة لقمان ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان ١٤]

وفي الأحقاف ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف ١٥].

وفي حديث النبي ﷺ الذي يرويه أبو هريرة:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن

صحابتي؟ قال: **أمك**. قال: ثم من؟ قال: **أمك** قال: ثم من؟ قال: **أمك**. قال: ثم من؟ قال: **أبوك**.

ومن أجلى صور البر التي ذُكرت في حديث النبي ﷺ ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ:

انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم..

قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أَغْبِق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلبُ الشجر يوماً، فلم أُرح عليهما حتى ناما فحلبتُ لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أَغبق قبلهما أهلاً أو مالاً. فلبثت ـ والقدح على يدي ـ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه إلى آخر الحديث.

انظر معي أخي المستمع إلى هذا الرجل الذي عاد إلى أهله،

فوجد أبويه نائِميْن، والصبية يبكون من شدة الجوع.. وإنها للحظة حرج شديد يتنازع هذا الرجل فيها بر الوالدين والرأفة بالأولاد.

ماذا يصنع؟ هل يوقظ والديه فيزعجهما؟

هل يسقي الأولاد الذين لا يَقْوون على احتمال الجوع؟

..إنه آثر الوقوف لأجل أن يستيقظ أبواه في أية لحظة فيقدمَ لهما غبوقَهما، فما استيقظا إلا بعد أن بزغ الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما.....

وانظر إليه وهو يدعو الله تعالى (إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك) فلابد إذًا من إخلاص يحرك هذا البارَّ بوالديه فيدعو الله تعالى ويتوسلُ إليه بما فعل من صالح العمل فيفرج الله كربه ومن معه..ألا ما أجملَ البرَّ يزينه الإخلاص لله تعالى.

ومن صور البر في تراثنا ما ذُكر عن علي بن الحسين حين قيل له: أنت من أبرّ الناس ولا نراك تؤاكل أمّك. قال: أخاف أن تسير يدى إلى ما قد سبقت عينهُا إليه فأكون قد عققتُها[1].

وقيل لعمر بن ذر كيف كان برُّ ابنك بك؟ قال: ما مَشَيتُ نهارًا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلاً إلا مشى أمامى، ولا يرقى

(١) عيون الأخبار ٣/ ٩٧

لى سطحًا وأنا تحته[1].

وقال المأمون: لم أر أحدًا أبرّ من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من برِّه به أن (يحيى) كان لا يتوضأ إلا بماءٍ مسخَّن وهما فى السجن، فمنعهما السجّان من إدخال الحطب فى ليلة باردة، فقام الفضلُ حين أخذ (يحيى) مضجعه إلى قُمْقُم كان يُسَخَّن فيه الماء، فملأه ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائمًا وهو فى يده حتى أصبح[2].

ألا فلْيخفض كلُّ منا جناحيه لوالديه، رحمةً بهما، واعترافًا بفضلهما وطاعةً لأمر الله عز وجل، وإخلاصًا لهما، فهو القائل:

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء ٢٤].

هذا وبالله التوفيق

وإلى لقاء في حلقة قادمة إن شاء الله

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

(١) عيون الأخبار ٣/ ٩٧
(٢) عيون الأخبار ٣/ ٩٨

الحلال

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد... أهلاً بكم مستمعي الكرام في حلقة جديدة من برنامجنا «**قبس من نور النبوة**»

*خرج البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

«إنَّ الحلالَ بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحِمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حِمى، ألا وإن حِمى الله محارمُه، ألا وإن في الجسد مُضغة إذا صَلَحت صَلَح الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فسدت فسد الجسدُ كله، ألا وهي القلب».

هذا حديث عظيم، وهو أحد الأحاديث التي مدار الدين عليها حديث عمر (إنما الأعمال) ـ وحديث عائشة (من أحدث في أمرنا) ثم هذا الحديث الذي معنا.

ومعنى الحديث أن الله أنزل كتابه، وبيّن فيه حلاله وحرامه، وبيّن النبي ﷺ لأمته ماخفي من دلالة الكتاب على التحليل والتحريم، فصرح بتحريم أشياءَ غيرِ مصرحٍ بها في الكتاب، وإن كانت عامتها مستنبطة من الكتاب وراجعة إليه.

فصار الحلال والحرامُ على قسمين:

أحدهما: ما هو واضح لا خفاء به على عموم الأمة لاستفاضته بينهم وانتشاره فيهم، ولا يكاد يخفى إلا على مَنْ نشأ ببادية بعيدةٍ عن دار الإسلام، فهذا هو الحلال البيّن والحرام البيّن.

القسم الثاني: ما لم ينتشر تحريمُه وتحليلُه في عموم الأمة، لخفاء دلالة النص عليه، ووقوع التنازع فيه، فيشتبه على كثير من الناس: هل هو من الحلال أو من الحرام؟

أما خواصُّ أهل العلم الراسخون فيه، فلا يشتبه عليهم، بل عندهم من العلم مايستدلون به على حِلّ ذلك أو حُرمته، فهؤلاء لايكون ذلك مشتبهًا عليهم لوضوح حكمه عندهم.

وأما من لم يصل إلى ما وصلوا إليه، فهو مشتبهٌ عليه، فهذا الذى اشتبه عليه إن اتقى ما اشتَبه عليه حِلُه وحُرْمُه واجتَنبه، فقد استبرأ لدينه وعرضه، أى طلب لهما البراءة مما يشينُهما.

وهذا هو الورع، وبه يحصل كمال التقوى كما ورد فى الأثر (لا يبلغ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس).

ثم ضرب النبى ﷺ مثلاً لمحارم الله بالحمى الذى يحميه الملِكُ من الأرض، ويمنعُ الناس من الدخول فيه، فمن تباعد عنه فقد توقَّى سُخط الملِك وعقوبته ومَن رعى بقرب الحمى فقد تعرَّض لمساخط الملك وعقوبته لأنه ربما دعَته نفسه إلى الولوج فى أطراف الحمى.

وفى هذا دليلٌ أخى المستمع على سدِّ الذرائع والوسائل إلى المحرمات، كما تحرُم الخلوة بالأجنبية لئلا يقعا فى الزنا وكما يحرم شربُ قليلِ ما يُسكِرُ كثيرُه.

– ثم ذكر النبى ﷺ كلمة جامعة لصلاح حركات ابن آدم وفسادها، وأن ذلك كله بحسَب صلاح القلب وفساده.

– فإذا صلح القلبُ صلحتْ إرادته، وصلحت جميعُ الجوارح، فلم تنبعث إلا إلى طاعة الله، واجتناب سَخَطِه، فقنِعت بالحلال عن الحرام.

– وإذا فسد القلب فسدت إرادته، ففسدت جميع الجوارح وانبعث فى معاصى الله عز وجل، وما فيه سَخَطُه ولم تقنع بالحلال،

بل أسرعت فى الحرام، بحسب هوى القلب وميلهِ عن الحق.

فالقلب الصالح هو القلب السليم، الذى لا ينفع يومَ القيامة عند اللهِ غيرُه وهو أن يكون سليماً عن جميع ما يكرهه اللهُ، ولا يكونُ فيه سوى محبةِ الله وإرادتهِ، ومحبَّته ما يحبه الله وإرادة ذلك، وكراهةِ ما يكرهُه الله، والنفورِ عنه.

– والقلبُ الفاسد هو القلب الذى فيه الميلُ إلى الأهواء المضلة والشهوات المحرَّمة، وليس فيه من خشية الله ما يَكُفّ الجوارح عن اتباع هوى النفس.

فالقلب – أخى المستمعُ الكريم – ملِكُ الجوارح وسلطانُها والجوارح جنوده ورعيتهُ المطيعةُ له، المنقادَةُ لأوامره فإذا صلح الملِك، صلحت رعاياه وجنودُه، وإذا فسد الملك فسدت جنوده ورعاياه.

والمقصودُ أن من اتقى الأمورَ المشتبهةَ عليه التى لا تتبينُ له أحلالٌ هى أم حرام فإنه مستبرئ لدينه أى طالبٌ له البراءة والنزاهة مما يدنِّسه.

ويلزم من ذلك أن من لم يتق الشبهات فهو معرِّض دينه للدَنَس والقدح فصار الدِّين بهذا الاعتبار إما نقياً نزهاً بريئاً وإما دنساً متلوثاً والدين يوصف بالقوة والصلابة كما يوصف

بالرقة والضعف ويوصف بالكمال كما يوصف بالنقص، والإيمان يزيد وينقص، ويقوى ويضعف.. هذا كله إذا قِسْنا الدين والإيمان والإسلام بالنسبة إلى شخصٍ شخص، أما إذا نظرنا إليه بالنسبة إلى نفسه من حيث هو هو فإنه يوصف بالنزاهة.

وقد صدق من قال: الإسلام نقيٌّ فلا تدنّسه بآثامك.

جعلنا الله وإياكم ممن يحل الحلال ويحرم الحرام ويتجنبُ الشبهاتِ ويتورع عنها، وجعل قلوبنا وإياكم من القلوب الصالحة...

هذا وبالله التوفيق وإلى لقاء آخر بمشيئة الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من حسن الإسلام

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

أخى المستمع الكريم سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

هذه حلقة جديدة من برنامجنا «**قبس من نور النبوة**»

أيها الإخوة الأحباب نعيش اليوم مع حديث رواه الإمام الترمذى وقال حديث حسن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[(١)].

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الأدب. وقد قال أحد العلماء: إن أصول آداب الخير وأزمّته تتفرع من أربعة أحاديث، هى قولُه ﷺ «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[(٢)]، وقوله ﷺ للذى اختصر له فى الوصية «**لا تغضب**»[(٣)]، وقوله ﷺ «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما**

(١) صحيح الجامع ٥٩١١ .
(٢) صحيح الجامع ٦٥٠١ .
(٣) صحيح الجامع ٧٣٧٣ .

يحب لنفسه»[1] وحديث «من حسن إسلام...»

ومعنى الحديث تركه ما لا يعنيه من قول وفعل، ومعنى «يعنيه» أن تتعلق عنايته به ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية شدة الاهتمام بالشيء، وليس المراد أنه يترك ما لا عناية له به ولا إرادة بحكم الهوى وطلب النفس، بل بحكم الشرع والإسلام، ولهذا جعله من حسن الإسلام،

فإذا حسن إسلام العبد ترك ما لا يعنيه في الإسلام من الأقوال والأفعال. فإن الإسلام يقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات. وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعني من المحرمات أو المشتبهات أو المكروهات وفضول المباحات التي لا يُحتاج إليها فإن هذا كله لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه وبلغ إلى درجة الإحسان.

وأكثر ما يراد بترك ما لا يَعنيٍ حفظُ اللسان من لغو الكلام وقد وقعت الإشارة في القرآن إلى هذا المعنى في قوله ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق ١٨] وقد نفى الله سبحانه الخير عن كثير مما يتناجى به الناس بينهم فقال ﴿ لَّا خَيْرَ

(١) صحيح الجامع ٧٥٨٣

فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء ١١٤].

وقد روى عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، خذلاناً من الله عز وجل.

إخوتي الكرام.. لقد عُني الإسلام عناية فائقة بتأديب أتباعه بجملة من الآداب إذا تحلوا بها، رفعوا أذاهم عن غيرهم، وأسهموا في بناء مجتمعهم إسهاماً إيجابياً في جانب الأخلاق...

ومن هذه الآداب آداب تضبط أفعال المرء فلا يتصرف حسبما يُملي له هواه، خذ لذلك مثالاً هؤلاء العابثين بالهاتف.. الذين يبددون أوقاتهم وأموالَهم فيما لا يعود عليهم بنفع، ويلحق بالآخرين الضرر والأذى.. ترى أحدهم يدير قرص الهاتف، فإذا جاء على الطرف الآخر صوت نسائي، بدأ في نصب شباكه، لإيقاعها في شراكه، غير مبالٍ بهتك الحرمات، لأن همه هو إشباع الشهوات والرغبات..

ولذا نحذر أخواتنا المسلمات من الخضوع بالقول، فإن الله تعالى نهى أمهات المؤمنين -اللآتي لا يطمع فيهن طامع- وهن في عهد النبوة، وحياةِ الصحابة الكرام نهاهن عن الخضوع

بالقول فقال ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحزاب ٣٢] فكيف بمن سواهن، لا شك أن نهيهن عن الخضوع فى القول من بابِ أولى.

ولا ينبغى أن يُستسهل الأمر، فيقول قائل إنه مجرد هاتف، فكم جلبت مثل هذه الأمور، على مجتمعاتنا من ويلات وشرور.

وما أحسنَ قولَ القائل:

إن المعاكس ذئب ... يُغوى الفتاة بحيلهْ
يقول هيا تعالى ... إلى الحياة الجميلة
قالت أخاف العار ... والإغراق فى درب الرذيلة
والأهل والإخوان ... والأصحاب بل كل القبيلة
قال الخبيث بمكر ... لا تقلقى يا كحيلة
إنما التشديد والتعقيد ... أغلال ثقيلة
ألا ترين فلانة ... ألا ترين الزميله
وإن أردت سبيلا ... فالعرس خير وسيلة
فانقادت الشاة للذئب ... على نفس ذليله
فيالفحش أتته ... ويا فعالٍ وبيله

حتى إذا الذئب أروى ... من الفتاة غليله
قال اللئيم وداعا ... ففى البنات بديلة

أخى المستمع.. إن الأمانة عظيمة.. وإن المسئولية جسيمة والعمر قصير فلا تضيِّعْه فيما لا يعنيك ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء ٣٦] فعليك أن تبذل الأسباب، وتوفر الضمانات لحماية محارمك من العابثين والسفهاء، وهى مما لا يخفى على محبى العفة والكرامة.

ولعل من أبرز هذه الأسباب أن تراعى أنت مشاعر الآخرين، وتحسنَ فى معاملاتهم، ولا تقتحمْ فيما لا يعنيك، فتُبتلى فى بيتك بما أفسدت به بيوت الآخرين.

هذا وبالله التوفيق

وإلى لقاء فى حلقة قادمة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

احفظ الله..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

فهذه حلقة جديدة من برنامج «**قبس من نور النبوة**»

روى الترمذي وقال حسن صحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كنت خلف النبي ﷺ فقال لي: يا غلام إني أعلمك كلمات:«**احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**» هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أهم أمور الدين حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث، فأدهشني وكدت أطيش.

فقوله ﷺ (احفظ الله) يعني: احفظ حدودَه وحقوقَه وأوامرَه ونواهيَهْ، وحفظُ ذلك هو الوقوف عند أوامره

بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوزْ ما أمر به وأذِن فيه إلى ما نهى عنه.

فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله.

ومن أعظم ما يجب حفظُه من أوامِرِ الله: الصلاة. قد أمر الله بالمحافظة عليها فقال: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ [البقرة ٢٣٨] ومدح المحافظين عليها بقوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المعارج ٣٤].

وقال النبي ﷺ: «من حافظ عليها كان له عند الله عهدٌ أن يدخلَه الجنة» وكذلك الطهارةُ، فإنها مفتاح الصلاة. قال النبي ﷺ: «لا يحافظُ على الوضوء إلا مؤمن».

ومما يؤمر بحفظه الأيمان. قال تعالى ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة ٨٩]: فإن الأيمان يقع الناسُ فيها كثيرًا ويهملُ كثيرٌ منهم ما يجب بها، فلا يحفظُه ولا يلزمه.

ومن ذلك حفظ الرأس وما وعى ويدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات وحفظ البطن وماحوى، ويتضمن حفظ القلب عن الإصرار على ماحرم الله وقد جمع ذلك كله في

قوله ﴿ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء ٣٦].

ويتضمن أيضًا حفظَ البطن من إدخال الحرام إليه من المآكل والمشارب ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله سبحانه: اللسان والفرج ففي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:«من حفظ ما بين لَحْيَيْه وما بين رجلَيْه دخل الجنة». وقال تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون ١-٢] إلى قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ [المؤمنون ٥-٦] وقوله ﷺ (يحفظْك) جواب للشرط الذي ابتدأه بقوله ﷺ (احفظ الله) والمعنى: أن من حفِظ حدود الله وراعي حقوقه حفظه الله، فإن الجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة ٤٠] وقال ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة ١٥٢] وقال ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد ٧].

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان: أحدهما حفظُه له فى مصالح دنياه/ كحفظه فى بدنه وولده وأهله وماله.

وقد يحفظُ الله ذرية العبد بعد موته بصلاحه، كما فى قوله

تعالى ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف ٨٢] قيل إنهما حُفظا بصلاح أبيهما.

فمن حفظ الله حفظه اللهُ من كل أذى. قال بعض السلف: من اتقى اللهَ فقد حفِظ نفسه، ومن ضيّع تقواه فقد ضيع نفسه والله غنيٌ عنه.

والنوع الثانى من حفظ الله للعبد أخى المستمع وهو أشرف النوعين: حفظ اللهِ للعبد فى دينه وإيمانه، فيحفظه فى حياته من الشبهات المُضِلة ومن الشهوات المحرَّمة المُذِلة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان، وفى الجملة فإن الله عز وجل يحفظُ المؤمن الحافظ لحدود دينه، ويحولُ بينَه وبين ما يفسِدُ عليه دينه بأنواع من الحفظ. قال ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ [الأنفال ٢٤] قال: يحول بين المؤمن وبين المعصية التى تجره إلى النار. وقال الحسن – وذكر أهلَ المعاصى -: هانوا عليه فَعَصَوه، ولو عزُّوا عليه لعصمهم.

أخى الكريم وقوله ﷺ «احفظ الله تجده تجاهك» وفى رواية أمامَك. معناه: أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه فى كل أحواله حيث توجّه، يحوطهُ وينصرُه ويحفظه ويسدّده ﴿ إِنَّ

ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل ١٢٨].

ثم قال ﷺ: إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، هذا منتزع من قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة ٥] فإن السؤالَ هو دعاؤه والرغبةُ إليه، والدعاء هو العبادة.

قال تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [غافر ٦٠] متضمن كلامُه ﷺ أن يُسأل اللهُ عز وجل، ولا يسألَ غيرُه، وأن يُستعان بالله دون غيره.

= أما السؤال فقد أمر الله بسؤاله فقال ﴿ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ [النساء ٣٢] واعلم أخى الحبيب أن سؤال الله عز وجل دون خلقه هو المتعيّن المطلوب، لأن السؤال فيه إظهارُ الذلِ والمسكنةِ والحاجة والافتقار.

وفيه الاعتراف بقدرة المسئول على دفع الضر ونيل المطلوب وجلب المنافع، ولا يَصلحُ الذل والافتقار إلا لله وحده، لأنه حقيقة العبادة.

= وأما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلْق، فلأن العبدَ عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره، ولا

معينَ له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل، فمن أعانه الله فهو المُعان، ومن خذله فهو المخذول، نعوذ بالله من الخُذلان.

فالعبد إذًا محتاج إلى الاستعانة بالله، فإن طلبها أعانه الله عز وجل، وإن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره، وكَلَهُ الله إلى من استعان به فصار مخذولاً.

- قوله ﷺ «واعلم أن الأمة لو اجتمعت..» المراد أن ما يصيب العبد فى دنياه مما يضره أو ينفعه فكُلُّه مقدّرٌ عليه. ولا يصيب العبد إلا ماكتب له من مقادير ذلك فى الكتاب السابق ولو اجتهد على غير ذلك الخلْق كلُّهم جميعاً.

ثم قال النبى ﷺ رفعت الأقلام وجفت الصحف.. رفعت الأقلام أى فلا زيادة فيما كتب ولا محو لما كتب.

هذا وبالله التوفيق

والله أعلى وأعلم

الكِبْر وعواقبه

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وكفى ،وصلاة وسلامًا على عباده الذين اصطفى..وبعد، أيها المستمع الكريم، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وأهلاً بكم معنا في حلْقة جديدة من برنامجكم «**قبس من نور النبوة**».

أخي الكريم....لما كان الكبر والتعالي على الناس مما يتنافى مع الخُلق الكريم، ويَغرس الفُرقة والعداوةَ بينَ الناس، ويَقطعُ ما أمر الله به أن يوصل، شَن الإسلامُ حربًا شعواءَ على الكِبر وأهلِه ليطهرَ منه النفوسَ والقلوبَ،

إن الله سبحانه وتعالى يُبغض المختالَ المتبخترَ المُعرِضَ عن الناس كِبْرًا وصَلَفًا قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ ﴾ [لقمان: ١٨].

ومهما أعجبت المرءَ نفسُه، واختال في مشيته، فأخذ يطأُ الأرض بشدة ويرفعُ رأسَه تطاولاً على الناس، فهو لن يخرق الأرض، ولن يبلغ الجبال طولا، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ

مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨ ﴾ [الإسراء ٣٧-٣٨].

أخي المستمع الكريم... روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«بينما رجل يمشي في حُلَّة تُعجبه نفسُه، مرجّلٌ رأسَه، يَختال في مشيته، إذ خَسَفَ اللهُ به فهو يتجلجلُ في الأرض إلى يوم القيامة»

هذا الحديث يذكر لنا قصةَ رجلٍ قد انتفخ خيلاءَ وكبرًا، يمشي على الأرض وقد امتلأ إعجابًا بنفسه، فلا يرى شيئًا إلا ازدراه واحتقره وإذا لقى أحدًا صعّر له خده... لقد نسي هذا الرجل مِمَّا خلق وإلى أى شئ يصير! وبينما هو كذلك وقد أعجب بظاهره، ومارُسِم من مظاهره إذا بالأرض تُخسف به، وكأن لم يكن شيئاً.. ألا يعلم من هذه صفته أنه ينازع الله تعالى فى صفاته كما جاء فى الحديث القدسى (الكبرياء ردائى والعز إزارى فمن نازعنى فى واحد منهما عذبته).

أخى الكريم، إن الاستكبار صفة الشيطان الأولى التى دفعته إلى عدم تنفيذ أمر الله عز وجل له بالسجود لآدم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة ٣٤].

إن الكبر يُغلق قلبَ صاحبه وعقلَه حتى إنه يرى الحق ولكنه لا يقبله، فهذا أحد المتكبرين يأكل عند رسول الله ﷺ بشماله فيأمره النبى ﷺ أن يأكل بيمينه فيقول: لا أستطيع. فيقول النبى ﷺ: «**لا استطعت**» فَشُلّت يمين ذلك الرجل وجاء التعقيب من النبى ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى قال: «**ما منعه إلا الكبر**».

وأكثر ما يتمثل الكبرُ فى رد الحق ودفعه، كما يتمثل فى ازدراء الناس واحتقارهم وقد قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقالُ ذرة من كبر**». فقال رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعلُه حسنة هل هذا من الكبر؟ فقال عليه الصلاة والسلام:

«**لا الكبر بطر الحق وغمط الناس**» (أى احتقارهم)[1] ومن هنا كانت عقوبة المتكبر فى الدنيا والآخرة. أما فى الدنيا فإن الله تعالى يصرف هؤلاء المتكبرين عن فهم آياته القائمة فى الآفاق وفى أنفسهم ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) خرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه. وانظر صحيح الجامع ٧٦٧٤

بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف ١٤٦].

ومن عقوبة المتكبر فى الدنيا أنه يخسف به كما ورد فى حديث حلقتنا (إذ خسف الله به فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة). وكما حكى القرآن الكريم عن قارون ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص ٨١].

أما عقوبة المتكبر فى الآخرة فإنه يكون من أهل النار الذين هم كُلُّ عُتُلٍّ جوّاظٍ مستكبر، كما أنه يُحَرمُ من نظر الله عز وجل إليه كما جاء فى الحديث الشريف «**لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء**»[1].

أخى الكريم.. إن المتكبر يرى نفسه متميزاً على غيره من خلق الله بفضيلة العلم أو العمل أو المال أو الجاه أو الصلاح أو غير ذلك من النعم الظاهرة، فيصرفه ذلك عن إصلاح نفسه وعدم الالتفات إلى نصيحة غيره ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ [البقرة ٢٠٦].

ألم يسمع هذا المستكبر إلى قول الشاعر:

(١) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

نسى الطين ساعة أنه طين حقير ... فصال تيهاً[1] وعربد
وكسا الخز[2] جسمَه فتباهى ... وحوى المال كيسُه فتمرد
يا أخى لا تمل بوجهك عنى ... ما أنا فحمة ولا أنت فرقد[3]
أيها المزدهى إذا مسّك السقمُ ... ألا تشتكى؟ ألا تتنهد؟
قمر واحد يطل علينا وعلى الكوخ ... والبناء الموطد
إن يكن مشرقاً لعينكِ إنى لا أراه ... من كوة[4] الكوخ أسود
النجوم التى تراها أراها ... حين تخفى وعندما تتوقد
لستَ أدنى[5] على غناك إليها ... وأنا معْ خصاصتى[6] لستُ أبعَد
أنت مثلى من الثرى[7] وإليه ... فلماذا يا صاحبى التيه والصد؟

أيها المستمع الكريم.. وبضدها تتميز الأشياء.. فإذا كان هذا هو حال المستكبر فإن أهل الإيمان متواضعون، وإن تسنموا أعلى المناصب، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أمير المؤمنين يخدم رعيته بنفسه، وهذا عمر بن عبد العزيز يكاد

(١) تيهًا : فخرًا
(٢) الخز : الحرير
(٣) فرقد : نجم فى السماء
(٤) كوة الكوخ: فتحة الكوخ
(٥) أدنى : أقرب
(٦) خصاصتى : فقرى
(٧) الثرى : التراب

السراج أن يُطفأ فيريد أحدهم أن يقوم ليصلحه فيرفض عمرُ أن يستخدم ضيفه ثم يقوم فيملأ المصباح زيتاً. فيقول له ضيفه قمت أنت يا أمير المؤمنين؟! فيقول عمر رضى الله عنه: ذهبت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ومانقص منى شئ فانظر رحمك الله إلى هذا التواضع الذى تشرّبه أصحابه من نور القرآن الكريم ومن مشكاة النبوة المباركة.

لقد تمثل المتواضعون قول الله تعالى ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان:٦٣] أى مشياً هيناً متواضعاً لا تكبر فيه.

وقد طبقوا قولَ النبى ﷺ (ما تواضع عبد لله إلا رفعه الله) وقوله ﷺ (إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد)[1].

أخى الحبيب.. إن التواضع يكسب صاحبه السلامة، ويُورث الألفة، ويرفع الحق. وللتواضع ثمرة وهى المحبة، وإنّ تواضع الشريف يزيد فى شرفه،

كما أن تكبُّر الوضيع يزيد فى ضعته، وكيف لا يتواضع مَنْ

(١) أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه، وانظر صحيح الجامع ١٧٢٥

خُلِق من نطفة مذرة[1]، وآخره يعود جيفة قذرة، وهو بينهما يحمل العذرة.

ولا تَمْشِ فوق الأرض إلا تواضعًا
فكم تحتها قومٌ همُ منك أرفعُ
فإن كنت فى عِزٍّ وخيرٍ ومنعةٍ
فكم مات مِنْ قومٍ همُ منكَ أمنعُ

إن التواضع أيها الإخوة يُثبّت دعائم الأخوة، ويوطّد قواعد الاستقرار والطمأنينة والسلام.

جعلنا الله وإياكم من أهل التواضع، وجنبنا وإياكم الكِبْر والتكبّر.

وإلى لقاء آخر بمشيئة الله.

أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم،

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

(١) مذرة : قذرة

الدعاء المقبول

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. أيها المستمع الكريم، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.. وأهلاً بكم فى حلقة جديدة من برنامجكم **«قبس من نور النبوة»**.

روى مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون ٥١] وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة ١٧٢] ثم ذكر «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يَمُدُّ يديه إلى السماء يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِى بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك؟**»

إن الله تعالى مقدّس منزّه عن النقائص والعيوب كلها، وهو سبحانه لا يَقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً طاهراً من

المفسدات كلها كالرياء والعُجب، ولا من الأموال إلا ما كان طيباً حلالاً، فإن الطيب يوصف به الأعمال والأقوال والاعتقادات، وكل هذه تنقسم إلى طيب وخبيث، ولا يستوى الخبيث والطيب.

وقد قسم الله تعالى الكلامَ إلى طيب وخبيث فقال: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [إبراهيم ٢٤] وقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ [إبراهيم ٢٦] وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر ١٠]. فالله تعالى لا يقبل إلا الطيب من القول، ومن العمل، ومن الاعتقاد. والمؤمن كله طيب: قلبه ولسانه وجسده، بما يسكن فى قلبه من الإيمان ويظهر على لسانه من الذكر وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التى هى ثمرة الإيمان وداخلة فى اسمه، فهذه الطيبات كلها يقبلُها الله عز وجل، ومن أعظم ما يَحصل به طِيب الأعمال للمؤمن طِيبُ مطعمه، وأن يكون من حلال، فبذلك يزكو عمله. أما أكلُ الحرام فيُفسد العملَ ويَمنع قبولَه.

أخى الكريم.. لقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين،أمرهم بالأكل من الطيبات التى هى الحلال، وبالعمل الصالح، فما كان الأكل حلالاً فالعمل الصالح مقبول، فإذا

كان الأكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولاً؟ ثم ضرب النبى ﷺ مثالاً لاستبعاد قبول الأعمال مع التغذية بالحرام (ثم ذكر الرجل يطيل السفر..).

وفى الحديث إشارة إلى آداب الدعاء، وإلى الأسباب التى تقتضى إجابته، وإلى ما يمنع من إجابته.

فذكر من الأسباب التى تقتضى إجابة الدعاء أربعة:

أحدها: إطالة السفر، والسفر بمجرده يقتضى إجابة الدعاء كما فى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده»[١].

ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء، لأنه مظنةُ حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان وتحمُّل المشاق. والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

الثانى: حصول التبذّل فى اللباس، والهيئة، بالشَّعَث والإغبار، وهو من المقتضيات لإجابة الدعاء كما فى الحديث المشهور عن النبى ﷺ «رُبَّ أشعث أغبر ذى طِمْرَيْن مدفوع

(١) ابن ماجه من حديث أبى هريرة. وانظر صحيح الجامع ٣٠٣١

بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره»[1].

الثالث:(من أسباب قبول الدعاء):

مدّ يديه إلى السماء، وفى حديث سلمان رضى الله عنه عن النبى ﷺ «إن الله تعالى حَيِىٌ كريم يستحيى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صِفْراً خائبتين»[2].

والرابع: الإلحاح على الله عز وجل بتكرير ذكر ربوبيته، وهو من أعظم ما يُطلب به إجابةُ الدعاء. وكم فى القرآن الكريم ـ أخى المستمع الحبيب ـ من أدعيةٍ افتُتِحت باسم الرب سبحانه، كقوله تعالى ﴿ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة ٢٠١] ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة ٢٨٦] وقوله ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران ٨].

أما ما يمنع إجابة الدعاء أيها المستمعون الكرام، فهو التوسع فى الحرام أكلاً وشُرباً ولُبساً وتغذية. قيل لسعد بن أبى

(١) رواه مسلم وأحمد من حديث أبى هريرة. وانظر صحيح الجامع ٣٤٨٤.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث سلمان. انظر صحيح الجامع ١٧٥٧.

وقاص رضى الله عنه: تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله ﷺ؟

ـ قال: ما رفعت إلى فمى لقمة إلا وأنا عالمٌ من أين مجيئُها ومن أين خرجت. ورُوى عن بعض الصالحين الأوائل أنه قال: بَلَغَنا أن دعاء العبد يُحبس عن السماوات بسوء المطعم.

ومن موانع الإجابة أيضاً ارتكاب المحرمات وترك الواجبات، وقد قال بعض السلف: لا تستبطئ الإجابة، وقد سَددْتَ طُرقَها بالمعاصى. وقد أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

نحن ندعو الإلهَ فى كل كرب ثم ننساهُ عند كشف الكروب

كيف نرجو إجابةَ لدعاء قد سددنا طريقَها بالذنوب؟

ولذا فقد قال ﷺ (فأنى يستجاب لذلك) وهو استفهام واقع على وجه التعجب والاستبعاد. إذ كيف يدعو هذا الآكل للحرام وينتظر الإجابة مع تيقنه من سوء فعاله، نسأل الله أن يطعمنا الحلال ويجنبنا مهاوى الضلال إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وإلى لقاء آخر بمشيئة الله،

أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعمتــان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

أيها الأحبة فى الله.. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.. وأهلاً بكم ومرحباً فى حلقة جديدة من برنامجنا «**قبس من نور النبوة**»

أيها الإخوة المستمعون الكرام..

يقول الشيخ محمد الغزالى رحمه الله:

«فى أحضان البطالة تولد آلاف الرذائل، وتختمر جراثيمُ التلاشى والفناء وإذا كان العمل رسالة الأحياء، فإن العاطلين موتى.. وإذا كانت دنيانا هذه غراساً لحياةٍ أكبَر تعقُبها؛ فإن الفارغين أحرى الناس أن يُحشروا مفلسين لا حصاد لهم إلا البوار والخسران.. وقد نبه النبى ﷺ إلى غفلة الألوف عما وُهبوا من نعمة العافية والوقت، فروى البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال:

– قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من**

الناس: الصحة والفراغ».

أجل فكم من سليم الجسم ممدود الوقت، يضطَرب فى هذه الحياة بلا أملٍ يحدوه، ولا عملٍ يشغله، ولا رسالةٍ يُخلص لها ويكرس عمره لإنجاحها.

ألهذا خلق الناس؟ كلا.. فالله تعالى يقول ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون ١١٥].

أخى المستمع الكريم.. لم يخلق اللهُ الناسَ عبثاً، ولن يتركهم سدى، فهو سبحانه يقول: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون ١١٥ – ١١٦] بل خلقهم الله لغاية عظمى ورسالة سامية تتطلب همة عالية وقلوباً صافية ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات ٥٦]. والمرء لا قيمة له بغير أداء هذه المهمة:

إذا مر بى يوم ولم أقتبس هدًى

ولم أستفد علماً فما ذاك من عمرى.

أخى الحبيب.. كم يخسر الإنسان حين يمر عليه وقت فراغ

لا يملؤه بما ينفعه فى الدنيا والآخرة.

لقد هاج الفراغ علىَّ شغلاً وأسبابُ البلاء من الفراغ

وقد أحسن من قال:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

معاشر الشباب.. كم امتُدح الشباب فى ديننا، وكم حمل العبءَ شبابٌ من خيرة الأمة، وكم نادى الحبيب ﷺ الشباب فى سنته المطهرة، يدعوهم إلى كل خير، ويحذرهم من كل شر. فهل من مجيب نحو العُلا، واستثمار العمر فى النافع من أمور الدنيا والآخرة؟

إن هناك رجالاً تظل وقدة الشباب حارة فى دمائهم، وإن نيّفوا على الستين والسبعين، لا تنطفئ لهم بشاشة، ولا يكبو لهم أمل، ولا تفترُ لهم همة. وهناك شباب يَحْبون حبوًا على أوائل الطريق، لا ترى فى عيونهم بريقا، ولا فى خطوهم عزما، شاخت أفئدتهم وهم فى مقتبل أعمارهم، وعاشوا ربيع حياتهم لا زَهْرٌ ولا ثمرُ..

فمن علم أن الشباب ضيف لا يعود، وفرحة إذا مرت لا رجوع لها، شُغِل بطاعة الله، واستعان به على الصالح لدينه

ودنياه. ومن أتبع نفسه هواها، وقاده الشيطان بزمام الشباب إلى الذنوب والمهالك ندم أشد الندم حين يشيخ، ولات ساعة مندم.

انظر أخى المستمع إلى شباب الإسلام فى عهوده الزاهرة، وتأمل ما كان يشغلهم من معالى الأمور، وتذكر معى أسامةَ بنَ زيد الذى يقود جيشاً يسير فى ركابه أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وتذكر على بن أبى طالب الذى كان يصول ويجول فى ساحات الوَغَى، يقاتل الأشداء من الكفار مبارزة، وتذكر ابن عباس الذى كان جامعة علمية، يعلم التفسير والفقه واللغة وغير ذلك وتذكر أنس بن مالك، ومعاذ بن جبل، ومصعب بن عمير، وغيرهم وغيرهم كما تذكر معى محمد بن القاسم الذى فتح الهند عن طريق السند، وقال فيه القائل:

إن السماحة والمروءة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد

قاد الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سؤدداً من مولد

وتذكر الإمام الشافعى، والبخارى، وأحمد بن حنبل، ومحمد الفاتح، وصلاح الدين، وغير هؤلاء ممن أشرقت صفحات التاريخ بذكرهم ومآثرهم.

كرر علىّ حديثهم يا حادى فحديثهم يجلو الفؤاد الصادى

ثم قارن أخى الحبيب هؤلاء الشباب بشباب اليوم الذى انصرف أغلبه عن معالى الأمور إلى سفاسفها، وراح يجرى وراء شهواته وملذاته لا يعبأ فى حرام أو حلال، وما يدرى من دينه إلا النزر اليسير، وهذا ما حدا بأحد الشعراء إلى أن يقول:

سلوا الشباب شباب العصر كم حفظوا
من سورة العصر أو من سورة القلـــم
وكم حديثا لخير الخلق قد فهموا
وهو المصدَّق بعد الوحى فى الكلـــم
والراشدون نسوا أسماءهم وهمُ
كالشمس فى الغيم أو كالبدر فى الظلم

وهؤلاء هم الذين يستنزفون أعمارهم فى قوارع الطرق وعلى المقاهى

وفى المقاهى جموع لا تصدقها
وفى المساجد لا تلقى سوى الهـــرم

أخى الحبيب.. لا تظن أنى بعدت بك عن حديث اليوم، فإن الوقت هو رأس مالنا فى هذه الحياة، وكثير منا من يتفلت

الوقت من بين أيديهم، ولا يحسنون استثماره، ولذا وجب التذكير بأهميته وقد شبه النبى ﷺ الإنسان المكلّف بالتاجر، وشبه الصحة فى البدن والفراغ من الشواغل عن الطاعة برأس المال، لأنهما من أسباب الأرباح ومقدمات نيل النجاح..

واعلم أخى الكريم أن الاشتغال بالندم على الوقت الفائت تضييع للوقت الحاضر، فشمر عن ساعد الجد واستثمر الساعة التى تعيشها:

ما مضى فات، والمؤمَّل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

واستمع معى إلى القائل:

مضى أمسك الماضى شهيداً معدَّلا وأعقبه يوم عليك جديدُ
فيومُك إن أغنيته عاد نفعُـــه عليك،وما فى الأمس ليس يعود
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءةً فَثَنِّ بإحسان وأنت حميد
فلا تُرجِ فعل الخير يومًا إلى غـــدٍ لعل غداً يأتى وأنت فقيدُ

فهيا بنا أخى المستمع نغتنم أوقاتنا لنلبى دعوة ابن القيم رحمه الله حين قال:

فحىّ على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيّمُ
ولكننا سَبْى العدوّ فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونُسلَّمُ

وقد زعموا أن الغريـب إذا نـأى وشطّت به أوطانُه فهو مُغـــرمُ

وأى اغترابٍ فوق غربتنا التى لها أضْحَت الأعداءُ فينا تحكَّمُ

أخى المستمع.. إن من عامل الله تعالى بامتثال أوامره وابتدر الصحة والفراغ يربح ويسعد فى جنات عدن، ومن أضاع رأس ماله ندم حيث لا ينفع الندم.

وللحديث بقية إن شاء الله في حلقة قادمة،

وحتى ذلك الحين أستودعكم الله..

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

كلمات جامعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد...

مستمعى الكرام، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وأهلاً بكم ومرحبًا فى حلقة من برنامج **«قبس من نور النبوة»**

أيها المستمع الكريم...

حين تسمو النفوسُ الإنسانية وتكبر آمالها، وتُصبحُ الحياةُ عامرةً بالتقوى وصالحِ الأعمال، تتطلعُ هذه النفوسُ إلى معرفة الفضائلِ والمكارمِ، فتصبحُ العبادة مُحبَّبة إلى النفس، كما تصبح الطاعةُ خُلقًا أصيلا من أخلاقها، وسجيةً عُظمى من سجاياها، وبذلك يرتفعُ الإنسانُ فوقَ الشهواتِ والشبهاتِ كما ينأى بنفسه عن المُغويات والمُغريات، ولا يكون للمادة عليه من سبيل، كيف لا... وقد أصبحت المُثل العُلا هى هَمَّهُ وغايتَه، وأصبح حُبُّ الخير غرضًا له وهدفًا...

لقد بين لنا النبي ﷺ في قبس من نور نبوته ﷺ كثيرًا من سبل الخير، وأرشدنا إلى مدارج العز والكمال...

روى الترمذى وابن ماجة وغيرهما بإسناد حسن عن أبى

هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من يأخذُ عنى هذه الكلمات فيعملَ بهن أو يعلّمُ من يعملُ بهن؟»

قال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدى فعدّ خمساً، فقال: «اتق المحارم تكن أعبدَ الناس.

وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.

وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا.

وأحبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً.

ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»

يبدأ الحديثُ بأسلوب استفهامى يخاطب فيه النبى ﷺ صحابتَه؛ ليستنهضَ هِمَمَهم العالية، وليحرِّضَهم على تعلُّم الخير وتعليمِه والعملِ به، ثم يذكر النبى ﷺ خمسَ وصايا جامعة:

الأولى (اتق المحارم تكن أعبد الناس) والمعنى: تجنَّب ما حرَّمَ اللهُ فعلَه وقولَه على العباد، تكن أكثر الناس عبادة لله، وخشية منه سبحانه. فالجملة إنشائية طلبية، والغرض منها هو النصح والإرشاد، والمقصود بيان معنى العبادة الحقة، ليست العبادة صوراً وأشكالاً، ولا مظاهر وهمية لا صلة لها بدنيا الناس، بل هى الجمال والجلال، والاستقامة على شريعة الله سبحانه.. فإذا

اجتنب المرءُ المحارم، ونأى بنفسه عن مزالق الهوى ومصائد الشيطان، وطهر نفسه من أدران الفحش والرذيلة كان العابدَ الزاهدَ حقاً، والتقى النقيَّ الصالحَ صدقاً.. ذلكم هو الذى يحبه الإسلام ويريده، ولله در من قال:

واتق الله، فتقوى الله ما   جاورت قلب امرئٍ إلا وَصَلْ
ليس من يقطعُ طُرْقاً بطلا   إنما من يتقى اللهَ البَطَلْ

الوصية الثانية (وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس):

أى اقنع بنصيبك الذى قسمه الله لك من الدنيا تكن أغنى الناس، فالقناعة كنز لا يفنى وفى القناعة راحة للقلب والبال، كما قال الشاعر:

إذا ما كنتَ ذا قلب قنوع   فأنت ومالِكُ الدنيا سواءُ

وفى هذا بيان لحقيقة الغنى، إذ ليس الغنى عن كثرة العرض من مال أو عَقار أو ادخار للثروات، ولكن الغنى الحقيقى هو غنى النفس كما أخبر النبى ﷺ فى حديث (**ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس**).(١)

(١) أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة وانظر صحيح الجامع ٥٣٧٧.

ولله در من قال:

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ... ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ

أخي الحبيب، إن نعم الله تعالى ليست محصورة في المال وما شابهه، بل إن هناك نعمًا تفوق هذه النعمة، فالإيمان، والعافية، والسلامة، والأمن والسعادة بالطاعة، كل هذا يفوق نعمة المال.

والوصية الثالثة أخي المستمع الكريم (وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا):

فهي دعوة إلى التعامل مع الآخرين لا سيما الملتصقين بك بالبر والإحسان، وأولى الناس بالإحسان إليه هو جارك، الذي أوصى الله تعالى بالإحسان إليه، وحث النبي ﷺ على ذلك حين قال «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» وقال: «**والله لا يؤمن (قالها ثلاثاً) قالوا من يا رسول الله. قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[1] وفي حديث آخر: «**من بات شبعان وجاره جائع**» انظر إلى أي مدى يهتم الإسلام بمشاعر الآخرين وأحاسيسهم لا سيما من يخالطهم المرء في حياته، وأولاهم بهذا جيرانُه.

---

(١) صحيح الجامع ٥٦٢٨ وقد أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر. (٣) صحيح الجامع ٧١٠٢ عن أبي شريح.

والوصية الرابعة هي فرع على سابقتها (وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما): إنها مثالية الإسلام وعظمته في حب الخير للجميع رحمةً وعطفا وبراً، وليست الأخلاق إلا الإنسانية والنبل، ولقد قال ﷺ «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1]، وقد جاء الأدب القرآني العام في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة ٨٣] فأحبوا الخير للناس كل الناس، وخذوا بأيديهم إلى ما يحبه ربنا ويرضاه..

أخي المستمع الكريم.. كما تحب لنفسك الخير في الدنيا والآخرة، فاحرص على أن تحبه لأخيك، بل واسع في تحقيقه له، يتحققْ فيك المعنى الحقيقي للإسلام.

وتأتي الوصية الأخيرة في هذا الحديث لِتُحَذِّر مما يُذهب بهاء القلب ونورَه، ويُفقد الإنسانَ شعوره وإحساسَه، فلا يستفيق لنصح ولا يرتدعُ عن غي.. إنها تنهى عن كثرة الضحك الذي هو دليل السفهِ وخفةِ العقل، كما قال القائل:

ضَحِكْنا وكان الضِّحْكُ منا سَفَاهةً

وحُقَّ لأرباب البريّة أن يَبْكوا

---

(١) صحيح الجامع ٧٥٨٣ عن أنس.

إنها دعوة إلى أن يتحلى المرء بخلق رصين، فيتجنب حياة الهزل والسخرية التى تتنافى مع وقار المسلم. فالحياة للمسلم أخى الكريم ليست لهواً وعبثا وليست هزلاً وصخبا، بل فيها الجد والكفاح، وفيها الآمال والتضحيات.

نعم، أخى الكريم، وليست الحياة جموداً وكآبة وحزناً، وإنما هى ساعة وساعة كما أشار النبى ﷺ لحنظلة فى حديث آخر.

ولقد كان ﷺ يضحك ويمزح، ولكنه لا يقول إلا الصدق، فما نقص الضحك من وقاره أو هيبته ﷺ بل زاده حبا ووقاراً بين أصحابه وأمته.

ألا ما أجمل هذه الوصايا إن تمسك بها المسلمون

جعلنا الله وإياكم من أهل الثبات على الحق،

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

الإفلاس

بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد أهلاً بكم إخوتى الكرام فى حلقة جديدة من برنامج «**قبس من نور النبوة**».

هناك كثير من الناس يعملون فى التجارة، فيربح أحدهم تارة ويخسر أخرى، وربما يشهر أحدُهم إفلاسه، وإن إفلاس الرجل التاجر فى الدنيا كبوة قد لا تطول، وبلاء ربما يزول، غير أن الضياع الحقيقى والهلاك اليقين هو يوم يقف المرء أمام رب العالمين، ولا يجد لنفسه حسنة، بل تتحول أعماله الصالحة إلى سيئات. روى الإمام مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يَقضى ما عليه أخذ

من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار».

بدأ النبى ﷺ بسؤال الصحابة لإيقاظ الأفهام وإثارة الانتباه، فجاءته الإجابة على ظاهر الأمر (المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع..) فهذا مبلغ علمنا عن الإفلاس، ألاّ يجد المرء درهمًا ولا متاعًا.. ولكن النبى ﷺ يحول الأبصار والقلوب إلى إفلاس من نوع خطير رهيب.. إنه الإفلاس فى الآخرة. وانظر أخى المستمع إلى قوله ﷺ

(إن المفلس من أمتى..) فهو من أمتى.. ليس غريبا عنى ولا عنكم معشر المخاطبين، وكأنها إشارة إلى عدم ركون الناس وظنهم أن هذا الوصف بعيد عنهم.. وأيضا هى إشارة إلى عدم المحاباة، فليست هناك مجاملة بالباطل، لأن هذا الإنسان أساء أعظم الإساءة لنفسه ولمجتمعه.

إنه يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وانظر إلى التعبير بهذه الألفاظ مُنَكَّرَة وليست معرّفة؛ ليوحى بأنها غير الصلاة المعهودة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر، وغير الصيام الذى يكون إيمانا واحتسابا، وغير الزكاة التى تطهر صاحبها وتزكيه.

ولعلك تلاحظ معى أخى المستمع الحبيب كلمة (زكاة) التى توحى أن هذا المفلس كان من أهل الثراء فى الدنيا، ولكن

الثراء الدنيوى لم يمنع الإفلاس الأخروى.

وانظر إلى تكرار كلمة (هذا) فى قوله ﷺ «ولكنه يأتى وقد شتم هذا، وضرب هذا، وسفك دم هذا، وأكل مال هذا.. فيعطى هذا من حسناته.. فتكرارها يوحى أن نيرانَ أذى هذا الشخص لم تَكْوِ فرداً واحداً، وإنما هم أفراد كثيرون، والمدين فى الدنيا لرجل واحد قد يُنظره، أو يمهله، وقد يعفو عنه، لكن من كثُر دائنوه، إن عفا منهم واحد فربما يشكو آخر، فما بالُنا والجميع واقفون أمام الملك الجبار، منتظرين الحكم إما إلى جنة وإما إلى نار، وإن رغب أحد فى الفرار، فاسمع معى إلى أين يفر ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس ٣٤:٣٧] إنه يحاول الفرار لماذا؟ حتى لا يأخذ أحد من هؤلاء شيئاً من حسناته، لكن من الله أين المفر؟

أخى المستمع الكريم..

لقد فنيت حسنات هذا المسكين، وانهارت الحصون التى كان بإمكانه الاحتماءُ بها، ليتقىَ العذاب، ولكن الأمر لم يقف عند هذا، فها هى قذائف السيئات تلقى عليه، لتثقل كاهله الواهن، وهو لا يستطيع لها دفعا، ولا منها فكاكا وهربا، ثم

يكون المصير الذليل.

يأخذ هذا ويأخذ هذا.. استخدم المضارع وكرره، لتطول فترة الأخذ منه وتتجدد، فكلما فرغ واحد جاء آخر ليأخذ نصيبه منه، ولكن فى السيئات قال عليه السلام (فتطرح) عليه أى كلها تطرح مرة واحدة وقال (أُخذ من خطاياهم) أيضا كلهم مرة واحدة (فطرحت عليه) أى مرة واحدة، بهذه الفاء المفيدة للسرعة والتعقيب، ثم يطرح فى النار، استخدم (ثم) ليفيد أن هذا المسكين سيظل فترة فى الموقف يحمل هذه الأثقال من السيئات، ولكن لماذا يقف؟

أليفتضحَ أمرُه بينَ الناس وعلى رءوس الأشهاد؟

وهل ذلك لأن الأمر كان متعلقاً بالناس فى الدنيا؟

انظر أخى إلى هذا المسكين وهو يحمل سيئاته يطوف بها فى أرض المحشر، ثم فى النهاية يطرح فى النار كما تطرح نفايات القُمامة بلا قيمة أو احترام.

وانظر مرة أخرى حين يُحذّر النبى ﷺ من جرائم اللسان قبل جرائم اليد، فيحذر الشتم والقذف قبل التحذير من سفك الدماء وأكل الأموال بالباطل، ذلك لأن جرح اللسان لا يندمل ويبقى محفوراً فى الذاكرة مكانُه. ولله در من قال:

جراحات السنان لها التئام ... وليس لما جرح اللسان التئامُ

أخى المستمع..

إن للكلمة السيئة أثراً سيئا، ولذا فقد قال تعالى﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء ٥٣] فالشيطان ينزغ بينهم بالكلمة الخشنة تفلت، وبالقول السيىء يتبعها، فلْيُحسنْ أحدنا اختيار الأحسن من الكلام مع خلق الله حتى لا يدع للشيطان عليه سبيلا.

وقد أسمع رجلٌ عمرَ بنَ عبدِ العزيز كلاماً مؤلماً فقال له: أردت أن يستفزنى الشيطانُ بعزّ السلطان فأنالَ منك اليوم ما تنالُ منى غداً، انصرف رحمك الله. إذاً ينبغى لنا أن نتحلى باللسان الطيب الذى يقول الخير ليغنم، ويسكت عن الشر ليسلم، ولا نكون كهذا المسكين الذى حاله يشبه حال من دخل السوق وجمع مالاً وخرج سعيداً ولكن عند باب السوق إذا بالدائنين، وما أكثرهم، فهذا يأخذ حقه، والآخر يكمل دَيْنه حتى إذا فنى ما مع المسكين من مال خرج خالى الوفاض، فيا لَشقائه وتعاسته، يقول الشيخ الغزالى رحمه الله:

«ذلك هو المفلس، إنه كتاجر يملك فى محله بضائع بألف، وعليه ديون قدرُها ألفان، وكيف يعد هذا المسكين غنيا؟

والمتديّن الذى يباشرُ بعضَ العبادات ويبقى بعدَها بادىَ الشرِ كالحَ الوجه قريبَ العدوان، كيف يُحسبُ امرءاً تقيا؟

ألا فلنشمر عن ساعد الجد، لإرضاء الله تعالى؛ حتى نكون من الأغنياء فى يوم يفلس فيه كثيرون ممن نالوا من حقوق الناس وأعراضهم.

هدانا الله وإياكم للتى هى أقوم

وإلى لقاء فى حلقة قادمة إن شاء الله

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

الغيبة

بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد أهلاً بكم إخوتى الكرام فى حلقة جديدة من برنامج «**قبس من نور النبوة**».

فقد روى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الغيبة ذِكرُك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال عليه الصلاة والسلام إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتّه**».

أيها المستمع الكريم....كثيرًا ما افتتح النبي ﷺ كلامه بسؤال وجّهه لصحابته رضوان الله عليهم، لينبههم ويرشدهم إلى ما يصلح حالهم ومآلهم، وكثيرًا ما كانت الإجابة (الله ورسوله أعلم) طلبًا لمعرفة مراد الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ.

وفي هذا الحديث معالجة لداء خطير وشر مستطير، إذا تُرك بلا علاج انتشرت الفوضى بين الناس، وشاعت الفاحشة في

أوساطهم، وصار الناس ينهش بعضهم أعراض بعض..إنه داء الغيبة..الذي عرّفه النبي ﷺ بقوله «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره».

والغيبة دليلٌ على نقصٍ كبير في نفسية المغتاب وعقله، لقد عَجِز عن مواجهة صاحبه بما فيه من عيب إما ناصحًا وإما زاجرًا، فإذا به ينفّس عما في صدره بعيدًا عن أخيه الذي يقع في عرضه ، وينسى أن الله تعالى مطلع عليه يسمعه ويراه ويكتب ما يقول..

والمغتاب ـ أي الذي يقع في الغيبة ـ ليس وحده الذى يحمل الأوزار؛ وإنما يشاركه في ذلك جليسهُ الذي أصاخ له السمع، وتجاوب معه، ونسى هؤلاء أنهم مسئولون عن جوارحهم ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [الإسراء ٣٦].

فحين تجالسُ ـ أخي المستمع ـ إنسانًا على هذه الشاكلة فأغلق أمام فمه كلَّ الأبواب المشرَعة للكلام إلا في الخير«**فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**» ولو علم المغتاب الذي يتتبع عورات المسلمين أن الجزاء من جنس العمل، لَكَفَّ عن هذا الفعل القبيح... فقد ورد في الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي برزة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا**

المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته» أو قال: «**وإن كان في سُترة بيته**»(١).

إن من حق المسلم على أخيه المسلم أن يحوطه بسياج من السّتر وأن يدفع عنه عيون الغدر وألسنة الشر، أما أن يتتبع عورة أخيه وينشرها بين الناس، فلعمرُ الله إنه للسَّفهُ بعينه.

أخي الحبيب..

لقد صور القرآن الكريم الغيبة طعاماً كريهاً من لحم يَعافُ الأسوياءُ الاقترابَ منه فقال تعالى:﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ ﴾ [الحجرات ١٢] إنها صورة بشعة منفّرة من الغيبة التى جعلها القرآن بمنزلة أكل لحم الأخ مَيْتًا فإذا كان أكل لحم الإنسان مكروها بالفطرة، فإن النفس أشدُّ كراهيةً له إذا كان لحمَ أخ، وتبلغ شدةُ الكراهية مداها إذا كان هذا الأخ ميتاً.

وذكْر الأخوة فى الآية للإشعار بأن المسلمين جميعاً إخوة، فاغتياب أحدهم إنما هو اغتياب أخ، ولما كان المسلمون إخوة

(١) رواه أحمد وأبو داود وانظر صحيح الجامع ٧٩٨٤.

كان من اغتاب واحداً منهم كأنما اغتابهم جميعاً.

أخى المستمع الحبيب.. إن أهل الغيبة الذين يخوضون فى أعراض الناس كأنهم لا يجدون لذتهم ومتعتهم إلا فى قرض الأعراض بمقاريض ألسنتهم، فيقضون أوقاتهم فى ذكر معايب الناس، سواء فى الهواتف أم فى المجالس، وهم يغفَلون عن أمور منها:

- غفلتهُم عن عيوب أنفسهم.
- وغفلتهم عن قدرة الآخرين على أن يقولوا فيهم مثل قولهم.
- وغفلتهم عما توعد الله سَبحانه به المغتابين.

فلو أن أحدنا جعل عيوب نفسه بين عينيه كلما همّ بالتحدث عن عيوب الآخرين لزجره ذلك فأمسك لسانه، وقهر شيطانه، فكان ممن قال فيه النبى ﷺ «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس**». ولم يكن ممن يرى القذاة فى عين أخيه، وينسى الجذع فى عين نفسه.

أخى الحبيب.. لو فطن أحدنا أن للناس ألسُناً كما أن له لسانا، وأعينا كما له عينان، وإن فيه من العيوب بعض ما فى الناس، وأن فيهم من لا يتورع أن يعيبه بما فيه، بل لعل بعضهم

يختلق له عيوبا.. لو فطن لذلك لآثر السلامة والنجاة بعرضه من ألسنة ربما كانت ألسنة حداداً.

إذا شئتَ أن تحيا سليماً من الأذى
وذنْبُك مغفور وعِرْضُك صَيِّنُ
لسانك، لا تذكر به عورة امرئ
فَكُلُّك عَوْرَات وللناس ألسُنُ

ولله در القائل:

لا تلتمسْ من مَساوِى الناس ماسَتَروا
فيهتكَ الله سِتراً عن مساويكا
واذكرْ محاسنَ ما فيهم إذا ذُكروا
ولا تَعِبْ أحداً منهم بما فيكا

أيها المستمع الكريم.. لو استحضرنا ما توعد الله به من يقعون فى أعراض الناس لأشفقنا على أنفسنا من سخَط الله وعقابه، قال تعالى: (ويل لكل همزة لمزة) والهمزة اللمزة هو الذى يتناول عيوب الناس بلسانه أو بحركاته وإشاراته.

وقد أعد الله لمن هذه صفته ويلاً أى هلاكاً، وهى كلمة شديدة الوقع على النفوس المؤمنة، وانظر إلى استعمالها فى القرآن الكريم تعرف أنها لا تستخدم إلا حيث تبلغ المعصية

مدىً من الشناعة والقبح:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾

[الماعون ٤-٥]

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المطففين ١٠]﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين ١] ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ ﴾ [الجاثية ٧] ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ﴾ [الهمزة ١].

... إن الناس فى أمر الغيبة على وجوه ثلاثة، فمنهم من يَعِفُّ عن لحوم الناس فلا يقربها، وينزِّهُ لسانه وسمعَه عن الخوض فى الأعراض، فإذا جالست هؤلاء سمعت منهم الخير، ووُقيت منهم الشر، ولكن هؤلاء قليلٌ عددُهم فى دنيا الناس.

- ومنهم من لا يُرى أو يُسمع إلا ذاماً للناس قادحاً فيهم، لا تسمع منه كلمة طيبة وكأنه لا يعرف فى أحوال الناس إلا الشرور والآثام، أما الحسنات فيدفنها ويخفيها، وشأنه كقول القائل:

إن يسمعوا رِيبَةً طاروا بها فَرَحاً
عنى، وما سمعوا من صالحٍ دَفَنُوا

صُمٌ إذا سمعوا خيراً ذُكِرتُ به
وإن ذُكرتُ بشـــــرٍ عندهم أَذِنُوا

ويتجاوز الأمر حده عند بعض الناس فيختلقون ويأتون البهتان

إن يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوه وإن سمعوا
شرًا أُذيعَ، وإن لم يســـمعوا كَذَبوا

وهؤلاء أكثر عدداً من النوع الأول، ولكنهم بحمد الله قليل. أما الكثرة الكاثرة من الناس، فهم الذين يخلطون عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم.. وإلى هؤلاء نتوجه بكلمتنا ألا يحكّموا غيرهم فى حسناتهم كما ورد عن الحسن البصرى رحمه الله أن رجلا جاءه يعتب عليه أنه اغتابه، فقال له: ما بلغ من قدرك عندى حتى أحكمك فى حسناتى؟

....وقانا الله شر هذا الداء،

وعافانا من كل بلاء،

.. وإلى اللقاء...

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

المؤمن والفاجر

بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد أهلاً بكم إخوتى الكرام فى حلقة جديدة من برنامج «**قبس من نور النبوة**».

خرّج البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

«**مَثل المؤمن كمثل خامة الزرع، من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت كفأتها بالبلاء، والفاجر كالأَرَزة، صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء**».

فى هذا الحديث ضرب النبى ﷺ مثلَ المؤمن فى إصابة البلاء جسدَه بخامة الزرع التى تقلبها الرياح يَمْنَةً ويَسْرَةً، والخامة هى الرَّطْبة من النبات ومَثل المنافق والفاجر بالأَرَزة، وهى الشجرة العظيمة التى لا تحركها ولا تزعزعها الرياح حتى يرسل الله عليها ريحاً عاصفاً قاصفاً فتقلعها من الأرض دفعة واحدة.

إنها فضيلة عظمى للمؤمن بابتلائه فى الدنيا فى جسده

بأنواع البلاء، وتمييزٌ له عن المنافق والفاجر بأنه لا يصيبه البلاءُ حتى يموت بحاله، فيلقى الله بذنوبه كلِها، فيستحقَ العقوبة عليها.

ولقد تضافرت نصوص كثيرة فى تكفير ذنوب المؤمن بالبلاء والمصائب، منها ما رواه الشيخان من حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «**ما من مصيبة تصيب المسلمَ إلا كفّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها**».

وقولُه ﷺ فى الصحيحين أيضًا «**ما يصيب المؤمنَ بلاءٌ ولا نصبٌ ولا وَصبٌ ولا هَمّ ولا حَزَن ولا أذىً ولا غمٌّ حتى الشوكةُ يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه**».

فالأسقام والبلايا كلها كفارات للذنوب الماضية، ومواعظ للمؤمنين حتى يتعظوا بها ويرجعوا فى مستقبلهم عن شر ما كانوا عليه.

ولقد قال الفضيل: إنما جُعلت العلل ليؤدَّبَ بها العباد، ليس كُلُّ مَنْ مَرِضَ مات.

أيها المستمع الكريم... اعلم أن تمثيل المؤمن بالزرع، وتمثيل الفاجر والمنافق بالشجر العظام يشتمل على فوائد، منها أن الزرع ضعيف مستضعف، والشجرَ قوىٌّ مستكبِر متعاظِم،

فالشجر لا يتأثر من حرٍ ولا برد، والزرع بخلاف ذلك. وهذا هو الفرق بين المؤمنين والكافرين، وبين أهل الجنة وأهل النار.

ورد فى الصحيحين من حديث حارثة بن وهب عن النبى ﷺ أنه قال: «**ألا أخبركم بأهل الجنة وأهل النار؟ أهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتُلٍ جوّاظ مستكبر، والجوّاظ هو الجموع المنوع المُختال فى مشيته**».

وقد ورد فى القرآن تشبيهُ المنافقين بالخُشُب المسندة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون ٤] فوصفهم بحُسن الأجسام وتمامها، وحسن المقام والفصاحة حتى يُعجِبَ منظرُهم مَنْ يراهم، ويُسمَعُ قولُهم لمن سمعه سماعَ إصغاء وإعجاب به، ومع هذا فبواطنهم خرابٌ، ومعانيهم فارغة، فلهذا مثّلهم بالخشب المسندة التى لا روح لها ولا إحساس، وقلوبهم مع هذا ضعيفة فى غاية الضعف ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ [المنافقون ٤].

أخى المستمع.. إن قوة قلب المؤمن فى ثباته علىالإيمان،

فالإيمان الذى فى قلبه مثلُه كمثل شجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها فى السماء، فيعيش على الإيمان ويموت ويبعث عليه. وإنما الرياح ـ وهى بلايا الدنيا ـ تقلّب جسمَه يمنة ويسرة، وأما قلبُه فلا تصل إليه الرياح لأنه محروسٌ بقوة الإيمان، فالتمثيل بالزرع لجسده لتوالى البلاء عليه، والتمثيل بالنخلة لإيمانه وعمله وقوله.

– لكن المنافق والفاجر والكافر بعكس ذلك: جسمه قوى لا تقلبه الرياح، وأما قلبه فإنه ضعيف تتلاعب به الأهواء المضلة، فتقلبُه يمنة ويسرة فلذلك كان مَثَلُ قلبه كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

إن الرياحَ إذا عَصَفْنَ فإنما   تُولِى الأذيّةَ شامخَ الأغصان

أخى الكريم.. من فوائد تمثيل المؤمن بالزرع أيضاً أنه يمشى مع البلاء كيفما مشى به فيلين له فيقلبه البلاءُ يمنة ويسرة، فكلما أداره استدار معه فتكون عاقبتُه العافيةَ من البلاء وحسنَ الخاتمة، ويُوقى ميتةَ السوء ولقد أحسن القائل:

مَنْ أخملَ النفسَ أحياها وروّحَها
ولم يَبِتْ طاوياً منها على ضَجَرِ
إن الرياحَ إذا اشتدتْ عواصفُها
فليس تَرْمِى سوى العالى من الشجر

ومن فوائد تمثيل المؤمن بالزرع أن الزرع وإن كان له طاقةٌ ضعيفةٌ ضئيلةٌ فهو يتقوّى بما يخرج معه وحولَه ويَعتضد به، بخلاف الشجر العظام فإن بعضها لا يشد بعضا، وقد ضرب الله تعالى مثل نبيه ﷺ وأصحابِه بالزرع لهذا المعنى فقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ [الفتح ٢٩] وقد قال عز وجل ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[التوبة ٧١] وقال:﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [التوبة ٦٧] فالمؤمنون بينهم ولاية وهى مودة ومحبة باطنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات ١٠] لأن المؤمنين قلوبهم على قلب رجل واحد فيما يعتقدونه من الإيمان. أما المنافقون فقلوبهم مختلفة "تحسبهم جميعا وقلوبهم شتّى" وذلك لأن أهواءهم مختلفة، ولا ولاية بينهم فى الباطن، وإنما بعضهم من جنس بعض فى الكفر والنفاق.

ومن الفوائد أيضاً أخى المستمع ـ أن الزرع ينتفع به بعد حَصَادِه، فإن أصحابه يحصدونه ثم يبقى منه ما يلتقطه المساكين، وترعاه البهائم، وربما أخرج بعضه نباتا مرة أخرى، وهكذا المؤمن يموت ويُخلّف ما يُنتفع به من علم نافع أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له.

أما الفاجر فإذا اقْتُلِعَ من الأرض لم يبق فيه نفع، بل ربما كان أكثر ضرراً، فهو كالشجرة المنجعفة لا تصلح إلا لوقيد النار.

ومن الفوائد أن الحَبَّ الذى ينبت من الزرع هو مؤنة الآدميين، وغذاء أبدانهم، وسبب حياة أجسادهم، فكذلك الإيمان هو قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وسبب حياتها، ومتى فقدته القلوب ماتت، وموت القلوب لا يُرجى معه حياة أبداً، بل هو هلاك الدنيا والآخرة.

ليس من مات فاستراح بميْتٍ ... إنما الميْتُ ميّتُ الأحياء

فلذلك شبه المؤمن بالزرع حيث كان الزرع حياة الأجساد، والإيمان حياة الأرواح، ومن الأشجار ما لا يتضرر بفقده، فلذلك مُثّل الفاجر والمنافق به لقلة نفع ثمره.

والله أعلم ومنه الهداية والتوفيق

وإلى اللقاء

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

الثقة بالله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

أيها المستمع الكريم.. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وأهلا بكم ومرحبا في برنامج «**قبس من نور النبوة**»...

حلقة اليوم أيها الإخوة الكرام عن قصة من القصص النبوي الشريف، وما أجملَها من قصص، إنها قصة تؤكد ضرورة أن يشعر المسلم بالثقة المطلقة في جانب الله والكفاية به، والاعتماد عليه وحده، والاعتصام به في كل شيء ينوب الإنسان أو يصيبه، وأن على الإنسان أن يلجأ إلى الله سبحانه ، ويتطلع إليه فهو القريب من عباده المعين لهم وحده، والقادر على كل شيء.

إنها قصة رجل يُقرض أخًا له مالاً، وهو مظهر من مظاهر الخير والمساعدة والتعاون على متاعب الحياة، وهذا المقرض يقدم ماله في ظرف صعب حيث لا شاهدَ ولا كفيل من الناس يكون دليلا له على ماله، ولكنه مع ذلك يقدم ماله راضيًا بالله

شاهدًا وكفيلا ثقةً بالله واطمئنانًا إليه.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلِفَه ألفَ دينار فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم. قال:كفى بالله شهيدًا. قال: فأتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلا. قال:صدقت.فدفعها إليه إلى أجل مسمى. فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يقدم عليه في الأجل الذي أجّله فلم يجد، فاتخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها[1] ثم أتى بها إلى البحر ثم قال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت من فلان ألف دينار فسألني شهيدا فقلت: كفى بالله شهيدا فرضي بك شهيدا، وسألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك كفيلا، وأني جَهدت أن أجد مركبا فلم أجد، وإني استودعتكها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي بها المال، فأخذها لأهله حطبا ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى

(١) أي أحكم غلقه.

بألف دينار. وقال: مازلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إليّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله تعالى قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف دينار راشدًا».

مستمعي الكرام...

هذا المقترض يمثل المؤمن المضطر للاستعانة مع التستر حفظًا للكرامة.. والمقرِض يمثل المؤمن المحتاط يحب المواساة مع حفظ الحق حذرًا من اللَّيِّ والنكول..

أما الشهيد والكفيل فهو الضامن الذي لا ريب في وفائه.. إنه الله سبحانه وتعالى الملك الحق..

لقد بدأت القصة بعقدة وهي حاجة ذلك الإنسان إلى مال، وطلبُه من أخيه أن يقرضه، فطلب صاحب المال شهيدًا وكفيلا ، ثم تتابعت الأحداث لتتحول العقدة من المقترض إلى المقرض.. فهو سيعطي قرضًا... ولكنه قرض بلا عقد، بل بلا شهيد أو كفيل.. ألا يدخل من هذه الثغرة عدو البشر إبليسُ ليزلزل العقيدة؟

وتدرج الزمن في المُضِيّ.... وبدأت تلوح العقدة في جانب

المقترض فهو يريد الوفاء بالعهد في زمن الوعد، يخرج يبحث عن مركب لكي يوصل المال إلى صاحبه فلا يجد، إنه يعيش أزمة إذ لا سفينة.. لا وسيلة... قلق وحيرة إنها مشكلة ولكن يأتي الحل..ألم يكن أشهد الله وكفله فرضي صاحب المال شهادة الله وكفالته، إذًا لِمَ لا يودع المال بأعين الشهيد والكفيل؟ أخذ خشبة وجوّفها، ثم وضع الدنانير فيها وأحكم إغلاقها، ثم توجه إلى الله بالدعاء، فكان هذا هو الحل.. صَنَعَه واثقًا، وإن بدا في ظاهره ضربًا من المجازفة ماذا صنع الشاهد والكفيل؟

جمع بين المال والمقرِض بسرٍّ من الإرادة محكم.. وإذا كان في طاقة البشر أن يبلغوا الرسائل، ألا يجب الإيمان بإبلاغها من الخالق الذي لا تدركه سِنة ولا نوم؟

أخي المستمع، من هذا الحديث نتعلم:

١- أن التعاون بين الناس على الخير والبر يثمر الخير دائمًا، ومن أهمه تفريج كربات المكروبين.

٢- حرص المؤمن على الوفاء فيه حفاظ على صورته وصورة دينه في أعين الناس، فلقد تحرى المقترض وبحث عن الوسائل التي يوصل بها المال لصاحبه.

٣- أن من أراد قضاء الدين أعانه الله عز وجل ووفقه.

٤- طلاقة قدرة الله عز وجل، فهو سبحانه يفعل ما يشاء، وهو قادر على كل شيء، لقد وصل المال إلى صاحبه، في خشبة مهمله ملقاة، كان من الممكن ألا يُعِيرَها الرجل اهتمامًا، أو يأخذها حطبًا لأهل بيته، ولكن الله عز وجل يجري هذه الكرامة لأجل الرجل الذي صدق في نية السداد.

٥- المقرِض يراقب الله عز وجل، ولا يستغل المقترِض، فلما وصله ماله، أخبر أخاه الذي جاء ليسدده له مرة أخرى بعد أن وجد مركبًا إليه.

٦- تفويض الأمر لله عز وجل، والثقة المطلقة في جانب الله، والكفاية به سبحانه.

هذا وبالله التوفيق والله أعلم

وإلى لقاء في حلقة قادمة

حتى ذلك الحين أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

الغضـــب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

أيها المستمع الكريم.. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد..

أهلاً بك ومرحبا في حلقة جديدة من برنامجنا «**قبس من نور النبوة**»..

أخي الكريم.. إن عظمة المربّي تظهر في إعطاء كل صاحب علّةٍ ما يناسبه لإصلاح علته، كالطبيب الماهر الذي يعلم أن دواء إنسانٍ قد يكون داءً لغيره، فيصف الدواء لمريضه، دواءً يقتل العلة ولا يمس صاحبها بسوء...

كذلك كان النبي محمد ﷺ، يُسألُ السؤال الواحد من عدة أفراد، فيجيب كُلاً بما يناسبه، ويناسب الكثير في الأمة، وتُطلب منه الوصية فيوصي هذا بوصية ، وذاك بوصية أخرى مما ينفع الناس جميعًا، ويطيل الحديث مع إنسان ويوجزه مع آخر...

وحديث اليوم -أخي المستمع الكريم- وصية من وصايا

النبي ﷺ لأحد الصحابة وهي متوجّهة إلى الأمة كلها؛ لأنها تعالج داءً عُضالاً أصيب به كثير من أفرادها، إنها جملة واحدة يتوجه بها النبي ﷺ لمن يخاطبه، وقد جمعت من مكارم الأخلاق الكثير.

خرّج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني قال: لا تغضب. فردد مرارًا قال: «**لاتغضب**»

أرأيت أخي المستمع، إنها جملة أو قُلْ كلمتان قصيرتان، ولكن لا تحسبن الأمر هينًا وما نهى النبي ﷺ ذلك الرجلَ عنه أمراً يسيراً، بل إنه من الأهمية والخطورة بمكان، وذلك لأن الذي ينفذ هذه الوصية ينال عليها أجرًا عظيمًا، أتدرى ما هو أخي الحبيب؟ إنه الجنة. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: يا رسول الله، دُلني على عمل يدخلني الجنة. قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تغضب، ولك الجنة**»[1] يالها من كلمة، ولكن لا يطيق حملها إلا النفوس الكبار.

وإذا كانت النفوسُ كِبارًا   تَعِبَتْ في مرادها الأجسامُ

إنها النفوس التي تملك زمام نفسها، ولا تملّكه للشيطان

(١) صحيح الجامع ٧٣٧٤.

عدوّها، ولمثل هذه النفوس قال النبي ﷺ: «**ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[1].

مستمعي الكرام... إن الغضب ثورة في النفس تهدر كالبركان الغاضب، تدمر كل شئ تأتي عليه، فلا عقلَ، ولا بصر ولاسمع يستجيب إذا تملّك الإنسانَ غضبُه، ولهذا كانت وصية النبي ﷺ بالتخلي عن الغضب تعني التحلي بالحلم والأدب.

أُحبُّ مكارمَ الأخلاق جَهدي   وأكره أن أَعيبَ وأن أُعابا

وأَصفحُ عن سِبابِ الناس حِلمًا   وشرُّ الناسِ من يَهْوَى السِّبابا

ومن هاب الرجال تهيَّبُوه   ومن حَقَر الرجال فلن يُهابا

لاشك أننا في هذه الحياة نتعرض لبعض الجاهلين أو خفاف العقول في معاملاتنا، فقد يجهل عليك ـ أخي المستمع ـ أحد هؤلاء بقول أو فعل، فلتكن إذًا من عباد الرحمن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا أي قولاً يسلمون به من أذاهم، ولنا معشر المسلمين في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ثم في صحابته الكرام رضي الله عنهم والتابعين بعدهم بإحسان.

(١) صحيح الجامع ٥٣٧٥ وهو عند البخارى ومسلم وأحمد من حديث أبى هريرة.

لقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وأمسك بتلابيبه ﷺ وقال له: يا محمد، أعطني؛ فإنه ليس مالك ولا مال أبيك. فماذا كان رد النبي ﷺ إزاء هذا الأعرابي الجافي في معاملته؟ قال له: **دعني**. ثم أمر له بعطاء، فذهب الرجل إلى قومه وهو فَرِحٌ يقول لهم: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمدًا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ولا يخاف فاقة أبدًا.

أخي الحبيب.... إن كظم الغيظ درجة رفيعة من درجات التقوى، وان عدم الاستجابة لدواعي الغضب من مكارم الأخلاق. كان لأبي الدرداء غلام له غَفل عن علف ناقة له توانيًا. فقال له: ما حملك على ما فعلت؟

قال: أردت أن أغضبك. قال أبو الدرداء: لأجمعن مع الغضب أجرًا، اذهب، فأنت حر لوجه الله.

وقال أبو عمرَ بنُ عبد البر: روّينا أن جارية لصفية بنت حيي أم المؤمنين رضي الله عنها أتت عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود.

فبعث عمرُ يسألها فقالت: أما السبت فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحمًا فأنا أصلها. ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان.

فقالت لها صفية: اذهبي، فأنت حرة.

وأسمع رجلٌ الوزيرَ ابنَ هبيرة كلامًا سيئًا فأعرض عنه ابن هُبيرة، فقال الرجل: إياك أعني. فقال ابن هبيرة: وعنك أُعرض.

وحُكى عن الأحنف بن قيس أنه قال: ما عاداني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال: إن كان أعلى مني عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدرى عنه، وإن كان نظيري تفضلت عليه، فأخذ هذا المعنى أحدهم وقال:

فأما الذي فوقي فأعرفُ قدره ... وأَتْبعُ فيه الحقَ والحقُ لازمُ
وأما الذي دوني فأَحْلُم دائما ... أصونُ به عِرْضى وإن لامَ لائمُ
وأما الذى مثلى فإنْ زلّ أوْهفا ... تفضّلتُ إن الفضلَ بالفخرِ حاكمُ

وقال آخر:

ولَلكَفُّ عن شَتْمِ اللئيم تكرماً ... أضرُّ له من شتمه حين يَشْتُمُ

وقال ثالث:

سَكَتُّ عن السفيه فظنَّ أنى ... عَييتُ عن الجواب وما عييتُ
إذا نطق السفيه فلا تُجبْه ... فخيرٌ من إجابته السكوتُ
فإن أجبتَه فرّجْتَ عنه ... وإن تركتَه كَمَداً يموت

فهكذا ـ أخى المستمع ـ يكون ضبط النفس، ويكون الحلم، والانتصار على نوازع الشر، التى يحاول الشيطان أن يستثيرها فى نفس الإنسان، وإذا أردت أن تدفع الغضب وتتحلى بالحلم، فعليك بالإكثار من ذكر الله تعالى. قال الله عز وجل ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [الأعراف ٢٠٠].

وقد قال النبى ﷺ حين رأى رجلاً مُغْضَباً: «**إنى لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»[(١)].

وقال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد: يا أمير المؤمنين، أسألك بالذى أنت بين يديه أذلُّ منى بين يديك، وبالذى هو أقدرُ على عقابك منك على عقابى لَمَا عفوتَ عنى. فعفا عنه الرشيد لمّا ذكرّه بالله تعالى.

ومن دواعى الحلم ـ أخى المستمع الكريم ـ أن يبدلَ المرءُ الحالةَ التى هو عليها، فإن كان قائما فليقعد، وإن كان قاعداً فليضطجع كما أمر النبى ﷺ بقوله «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإذا ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع**»[(٢)].

(١) صحيح الجامع ٢٤٩١ والحديث عند أحمد ومسلم والبخارى والترمذى من حديث سليمان بن صرد.

(٢) صحيح الجامع ٦٩٤ وهو عند أحمد وأبى داود وابن حبان من حديث أبى ذر.

وإذا أردت أن يهون عليك الأمر فاسمع معى ـ سمعت الخير ـ قول الحبيب ﷺ: «من كظم غيظاً وهويستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء»[(١)].

وقوله ﷺ«ما تجرع عبدٌ جرعةً أفضلَ عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله عز وجل».

وينبغى أن نعلم أن هناك غضباً محموداً، وهوالذى يغضبه المؤمن إذا انتهكت محارم الله عز وجل. أما الغضب المذموم الذى تحدثنا عنه فى حلقتنا هذه، فهو جمرة من نار، إذا أردت أن تطفئها فعليك بالاستغفار.

وإلى لقاء آخر بمشيئة الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) صحيح الجامع ٦٥٢٢ رواه الأربعة من حديث معاذ بن أنس.

الجليـــــس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد، أيها المستمع الكريم، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وأهـلاً بكـم ومرحبًا فى حلقة جديدة من برنامجكم «**قبس من نور النبوة**»

اقتضت حكمة الله تعالى فى خلقه أن جعل الإنسـان ميـالاً بطبعه إلى مخالطة الآخرين ومجالستهم والاجتماع بهم.

وهذه المجالسة لها أثرها الواضح فى فكر الإنسان ومنهجـه، بل وسلوكه، وربما كانت سبباً فعالاً فى مصير الإنسان وسعادته الدنيوية والأخروية. وقد دل على ذلك الشرع والعقل والواقـع والتجربة والمشاهدة.

فالظالم يندم يوم القيامة ويأسف لمصاحبة من ضل وانحرف فكان سبباً فى ضلاله وانحرافه ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان ٢٧-٢٩].

مستمعى الكرام..

روى البخارى ومسلم من حـديث أبـى موسـى الأشـعرىّ رضى الله عنه أن النبـى ﷺ قـال: «**إنمـا مثـل الجليـس الصـالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمـا أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منـه، وإمـا أن تجـد منـه ريحـاً طيبـة، ونافخُ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة**».

لقد بيّن النبى ﷺ أن الجليس له تأثير على جليسه سـلباً أو إيجاباً بحسب صلاحه وفساده.

فشبّه الجلـيس الصـالح بحامـل المسـك، فإنـك إذا جالسـته يحصل لك منه واحدة مـن ثـلاث إمـا أن يعطيـك ويُهـديَك أو تشتريَ منه، أو تشمَ منه رائحة طيبة تؤثر علـى نفسـك وبـدنك وثوبك.

صحبةُ الصالحين بَلْسَمُ قلبى   إنها للنفوس أعظمُ راقى

وشبّه النبى ﷺ الجليس السـوء بنـافخ الكيـر، وهـو القـائم بمهنة الحدّاد، فإما أن يتطاير عليك من شرر ناره فيُحرق ثيابـك، أو تجدَ رائحة كريهة تصيبُ بدنك وثوبك، فجليس السوء يُلحق الضررَ بمن يجالسـه. وينبغـى أن نفطـن إلى أن تشـبيه النبـى ﷺ لجليس السوء بالحداد لا يعنـى تحـريمَ هـذه المهنـة، وإنمـا يعنـى

النتيجة المترتبة على الاقتراب ممن يمارس هذه المهنة أثناء عمله.

من أجل هذا أخى المستمع.. لا بد أن يتأنى المرء فى اختيار جليسه وصاحبه، إذ الصاحبُ ساحبٌ، والمجالِسُ مُجانس. وقد أحسن من قال:

فلا تصحبْ أخا الجهلِ ... وإيــاكَ وإيــــاهُ
فكم من جاهــلٍ أردى ... حليمًا حيـن آخاه
يُقاسُ الـمرءُ بالمــــرءِ ... إذا ما الـمرءُ ما شاه
وللـشيءِ مِـن الشـــيءِ ... مقاييسٌ وأشبـــاهُ
ولِـلقلبِ علـى القلـبِ ... دليلٌ حينَ يلقـــاه
وذو الـعقـل إذا أبـصَر ... ما يخشى توقّـــاه

ولمجالسة الأشرار وجلساء السوء أضرار منها:

١ - أنه قد يشكك جليسه فى معتقداته الصحيحة ويصرفه عنها، كما هو حال أهل النار ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ۝ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝ ﴾ [الصافات ٥١:٥٣]

وانظر إلى وفاة أبى طالب على الكفر بسبب جلسائه حين

قالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب، فمات عليها.

٢- وجليس السوء يدعو جليسه إلى مماثلته فى الوقوع فى المحرمات والمنكرات ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴾ [النساء ٨٩].

٣- والتأثر بالعادات السيئة والأخلاق الرديئة لجليس السوء.

٤- ومخالطته تذكّر بالمعصية وتحمل عليها.

٥- ويعرفك بأصدقاء السوء

٦- ولا ينصحك بما يصلحك

٧- وتُحرَمُ بسببه مجالسة الصالحين

٨- ولا تخلو مجالسهم من غيبة ونميمة

٩- وليس فيها ذكر الله عزوجل.

أخى المستمع.. إن لمجالسة الصالحين ثماراً طيبة، منها:

١ـ أن من يجالسهم تشمله بركة مَجالِسِهم، ويعمُّه الخيرُ الحاصلُ لهم وإن لم يكن عمله بالغاً مبلغَهم، فهم القوم لا يشقى بهم جليسُهم.

٢ـ التأثر بهم، فالمرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل.

ولقد أحسن من قال:

عن المرء لا تسلْ وسلْ عن قرينه

فكل قرينٍ بالمقارنِ يَقْتَدِي

إذا كنت فى قوم فصاحبْ خيارَهم

ولا تصحبِ الأردى فتردَى معَ الرَّدِي

٣- ومنها تبصرته بعيوبه لإصلاحها، فالمؤمن مرآة أخيه، إن رأى فيه ما لا يعجبه سدّده وقوّمه، وحاطه وحفظه فى السر والعلانية.

٤- مقارنته عملَه بأعمالهم فيعرف قدره ويصلح خطأه.

٥- مجالسة أهل الخير يدلونك على أمثالهم فتنتفع بمعرفتهم.

٦- ومن ثمارها انكفاف جليسهم عن المعصية.

٧- تحفظ وقتك الذى هو الحياة وهو الوعاء لكل الأعمال.

٨- هذه المصاحبة سبب لدخولك فى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [الزخرف ٦٧].

٩ـ رؤية الصالحين تذكّر بالله سبحانه، فإذا حصل لمن رآهم هذا الخير، فكيف بمن يجالسهم؟

١٠- ومن ثمار مجالسة الصالحين الانتفاع بدعائهم لك

بظهر الغيب فى حياتك وبعد مماتك.

١١- الصالحون زيْن وأُنس فى الرخاء، وعُدّة فى البلاء.

١٢- المجالسة سبب لمحبة الله تعالى (وجبت محبتى للمتحابين فىّ والمتجالسين فىّ) ومن ثمرات المجالسة للصالحين أنها تؤدى إلى محبتهم فى الله تعالى، وهذه المحبة لها من الثمرات والفضائل الكثير والكثير.

أرأيت أخى الكريم كم لمجالسة الصالحين من ثمار وفوائد، فاحرص عليها تفز وتربح..

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

التقوى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد، أيها المستمع الكريم، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وأهلاً بكم ومرحبًا فى حلقة جديدة من برنامجكم «**قبس من نور النبوة**»

إذا تمكن الإيمان من القلب، ورسخت جذوره فى أعماق النفس، أثمر حالة من الحالات التى تفجِّرُ الطاقاتِ الكامنةَ، والقُوى التى وهبها اللهُ للإنسان، فينبعثُ إلى الخير انبعاثَ المُحب، وينصرفُ عن الشر انصرافَ الكاره، ويكونُ شأنه كما وصفه اللهُ سبحانه ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ ﴾ [الحجرات ٧].

تلك الحالة هى التقوى، والتقوى تتضمن أصول الإسلام وقواعد الدين كما قال تعالى فى وصف المتقين ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ [البقرة ٣] ولما كانت التقوى جماعَ كلِّ بر وخير، وأصلَ كلِّ صلاح للأفراد والجماعات، كانت خيرَ ما يتزود به الإنسان، يقول سبحانه

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ ﴾ [البقرة ١٩٧].

لذا جاءت وصية النبى ﷺ بالتقوى فى حديث حلقتنا هذه، حيث قال ﷺ موصياً معاذاً وأباذر، والمراد الأمةُ كلُّها «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» رواه أحمد وأبو داود وهو حديث حسن.

أخى المستمع.. يشتمل الحديث على ثلاثة حقوق، حق الله، وحق النفس، وحق العباد. نتحدث فى هذه الحلقة عن حق الله عز وجل فى قوله ﷺ «**اتق الله حيثما كنت**» يعنى فى خلوتك وجلوتك، فى شدتك ورخائك، فى عسرك ويسرك، فى منشطك ومكرهك، فى أى زمان أو مكان تتقى الله سبحانه وتعالى.

ومعنى التقوى ـ أخى الحبيب ـ هو الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

ومن معانيها كذلك: ألا يراك الله حيث نهاك، وألا يفتقدك حيث أمرك. ومن معانيها: أن يطاع الله فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يُكفر. وهى أيضاً أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

والتقوى أخى الكريم هى وصية الله تعالى للأولين والآخرين، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ ﴾ [النساء ١٣١]، وكم من نبى خاطب قومه بمثل قوله ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح ٣].

وقد سئل أبو هريرة رضى الله عنه عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً فيه شوك؟ قال: نعم. قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته. قال: ذاك التقوى.

ولقد أحسن من قال:

خَلِّ الذنوب صغيرَها وكبيرَها ذاك التُّقى
واصنعْ كماشٍ فوق أرض الشَّوكِ يحذر ما يرى
لا تَحْقِرَنَّ صغيرةً إن الجبالَ من الحَصَى

أخى المستمع.. لقد كان النبى ﷺ يوصى أصحابه إذا أرادوا سفراً أوغزواً بتقوى الله، وسار على نهجه ﷺ أبو بكر وعمر وغيرهما ومن سار على الدرب فكانوا يوصون أحبابهم وأتباعهم بالتقوى..

كتب ابنُ السَّمَّاك الواعظ إلى أخ له. أما بعد. أوصيك بتقوى الله الذى هو نجيُّك فى سريرتك ورقيبك فى علانيتك،

فاجعل الله من بالك على كل حال فى ليلك ونهارك، وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك. واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذرك، وليكثر منه وجلك والسلام.

إذًا أخى الحبيب..

إذا ما خلوتَ الدهرَ يومًا فلا تَقُلْ
خلوتُ ولكنْ قُلْ علىَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفَلُ ساعةً
ولا أن ما تأتى عليه يَغيبُ

والتقوى على ثلاث مراتب:

الأولى: التوقّى من العذاب المخلَّد صاحبه، وذلك بالتبرّى من الكفر، وعليه قوله تعالى ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح ٢٦] فالمراد بها لا إله إلا الله محمد رسول الله.

والثانية: التجنب لكل ما فيه لوم، حتى الصغائر

والثالثة: أن يتنزه العبد عن كل ما يشغله عن الحق، وهو المراد بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران ١٠٢].

أيها المستمع الكريم.. يقول الإمام الغزالى رحمه الله.. إن التقوى كنزٌ عزيز، فإن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر ورزق كريم ومُلك عظيم؛ لأن خيرات الدنيا والآخرةِ جمعت فيها.

وتأمل معى قول القائل:

من عرفَ اللهَ فلم تُغْنِـه ... معرفةُ الله، فذاكَ الشَّقِى
ما يصنعُ العبدُ بعز الغِنَى ... والعـز كلُّ العز للمُتَّقِى

وقول الآخر:

واتقِ اللهَ فتقوى الله مـا ... خالطت قلبَ امرئ إلا وَصَلْ
ليس من يقطع طُرْقاً بطلا ... إنما من يتقـى اللهَ البطـلْ

وحسبك أن تعلم أخى الحبيب أن التقوى هى جماع أعمال البر الذى هو من أهم نتائج الصدق. قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة ١٧٧].

فسارع أخى إلى التقوى، إذ الفُرصة متاحة الآن، وما يُدرِكُ اليومَ قد لا يُدرك غداً.

تزودْ من التقوى، فإنك لا تدرى ... إذا جَنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجرِ
فكمْ من صحيحٍ مات من غيرِ عِلَّةٍ ... وكمْ من عليلٍ عاش حِينًا من الدهرِ
وكمْ من صِغارٍ يُرْتَجَى طولُ عمرهم ... وقد دخلت أجسادُهم ظلمةَ القـبرِ
وكمْ من فتى يُمسى ويصبح لاهيا ... وقد نُسِجَتْ أكفانُه وهو لا يـدرى
وكمْ من عروسٍ زينوها لزوجها ... وقد قُبضت أرواحهم ليلة القـدر

ألا هل من مشمر باحث عن سلعة الله الغالية، عن الجنة التى يقول الله فيها ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر ٥٤].

جعلنا الله وإياكم من المتقين وثبتنا على الإيمان

هذا، وللحديث بقية فإلى اللقاء.

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

الخلق الحسن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد، أيها المستمع الكريم، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وأهلاً بكم ومرحبًا فى حلقة جديدة من برنامجكم «**قبس من نور النبوة**»

فقد روى أحمد وأبو داود بإسناد حسن عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**».

أخى المستمع الكريم.... تحدثنا فى حلقة سابقة عن هذا الحديث الشريف، وقلنا إنه يشمل ثلاثة حقوق، حق الله، وحق النفس، وحق العباد، أما حق الله تعالى فهو فى قوله ﷺ «**اتق الله حيثما كنت**»، وأما حق النفس فقوله ﷺ «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»، ثم حق العباد فى قوله ﷺ «**وخالق الناس بخلق حسن**».

أخى المستمع.. هذه وصية فى غاية الأهمية فى حياة المسلم، فليس هناك على وجه الأرض إنسان معصوم من الخطأ،

إذ أخبر الصادق المصدوق ﷺ «**أن كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**».

فهذا الحديث يفتح للمسيئ ـ وكلنا هذا الرجل ـ بابَ الإحسان إلى النفس، وذلك حين تزلُّ القدمُ فى ذنب من الذنوب، فيسارعُ المرءُ إلى التوبة منه، وإحداثِ حسنة من استغفار أو صدقة أو تلاوة للقرآن أو دعاء بالمغفرة، هذه الحسنة تمحو هذه الذنوبَ والآثامَ كما قال تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود ١١٤] إذا أساء المرءُ بالوقوع فى خطأ فليسارع بالتوبة والصلاة، عسى الله أن يمحو هذه السيئة، أو أن يبدل السيئات حسنات أما مخالقة الناس بالخلق الحسن، فإن النبى ﷺ بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، وكل حياته ﷺ يُلمس فيها حسنُ الخلق مع الصغير والكبير ومع المؤمنين وغيرهم، ولقد قال ﷺ «**أثقل شئ فى الميزان حسن الخلق**»[1]. وقد امتدحه الله سبحانه بقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم ٤]

ولقد جمع الله تعالى مكارم الأخلاق فى قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف ١٩٩].

(١) صحيح الجامع ١٣٤.

وقد كان عليه السلام أحسن الناس خلقاً، فما قال لخادم له أفٍ قط، ولا قال له لشئ فعلَه لِم فعلت، ولا لشئ لم يفعله لِمَ لَمْ تفعله.

إن من أسباب السعادة حسنَ الخلق مع الناس، وأولى الناسِ بحسن الخلق هم: الأبوان، والزوج، والأولادُ، ثم سائرُ الناس، بل والطيرُ والحيوانُ.

وحسن الخلق يستر كثيراً من السيئات، كما أن سوء الخلق يُغطى كثيراً من الحسنات.

وإن من المخالقة الحسنة أن يحلُمَ المرءُ على السفهاء، وقد رُوى أن رجلاً شتم الشعبى فقال الشعبى: إن كنتُ كما قلتَ فغفرَ اللهُ لى، وإن لم أكن كما قلتَ فغفر اللهُ لك.

أىُّ حِلْمٍ هذا، وأىُّ صبرٍ حين يأتى إليك إنسانٌ فيجهلُ عليك بسبٍّ أو نحوه، ثم تقابل أنت ما يفعله ببشاشةِ وَجْهٍ وحلمٍ، وهدوء نفس، إنك إن فعلت هذا أخى الحبيب رجع ذلك المخطئ بإحدى اثنتين إما إلى رشده فيعترف بخطئه فيعتذر لك، وإما يموت كمداً، كما قال القائل.

إذا نطقَ السفيهُ فلا تُجبْهُ ... فخيرٌ من إجابته السكوتُ
فإن أجبتَه فرّجْتَ عنه ... وإن تركتَه كَمَداً يموت

أخى المستمع.. إن حسن الخلق صفة سيد المرسلين، وأفضل أعمال الصديقين أما الأخلاق السيئة فهى سموم قاتلة، ومخاز فاضحة، ورذائل واضحة، ومعالجتها هُو المراد بقوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس٩].

وإهمالُها هو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس ١٠].

يقول الشيخ محمد الغزالى رحمه الله: «إذا نمت الرذائل فى النفس، وفشى ضررُها، وتفاقمَ خطرُها انسلخَ المرءُ من دينه كما ينسلخ العريانُ من ثيابه، وأصبحَ ادعاؤه للإيمان زوراً، فما قيمة دين بلا خلق؟» وما معنى الإفساد مع الانتساب لله، وصدق لعمر الله فإن تزكية النفوس تكون بالتحلى بالأخلاق الحسنة، والتخلى عن الأخلاق السيئة، وهو ربع الرسالة إذ وصف الرسول ﷺ بأنه ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران ١٦٤].

فالتزكية ربع الرسالة، والنبىَّ ﷺ يقول: «أنا زعيمٌ ببيتٍ فى رَبَضِ الجنة لمن ترك المِرَاءَ وإن كان مُحِقّاً، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[1].

(١) صحيح الجامع ١٤٦٤.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجاتِ قائم الليل وصائم النهار**»[1] وبيّن ﷺ أن الله يحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها[2]. وقال عليه الصلاة والسلام «**خياركم أحاسنكم أخلاقا**»[3].

أخى المستمع الكريم.. إن حسن الخلق يقوم على الصبر وكف الأذى والحلم والرفق، ويقوم على العفة واجتناب الرذائل. لقد دخل حاتم الطائى العربى المشهور بالكرم والمروءة قبل الإسلام، دخل امتحان الشهوة الجامحة التى يَعرض لها ما يُشبعُها، والطبيعةِ الضارية التى تتهيأ لها الفريسة، والمعدَم اللهفان الذى يتراءى له الغنى دانياً مواتياً ثم بعد ذلك تعتصم الشهوة بالخلق الحسن، وتتمسكُ الضراوة بالحياء ويتعالى المعدَمِ على الدنية.

رُبّ بيضاءَ فرعُها يتثنى قد دعتنى لنفسها فَأَبَيْتُ
لم يكنْ بى تَحَرُّجٌ غيرَ أنى كنت جاراً لبعلها فاستَحَيْتُ

فانظر معى ـ أخى الحبيب ـ إلى هذا الرجل الذى استحيا من جاره، وهكذا كانوا قبل الإسلام، كما قال عنترة:

(١) صحيح الجامع ١٦٢٠.
(٢) صحيح الجامع ١٨٨٩.
(٣) صحيح الجامع ٣٢٥٩.

وأَغُضُّ طرفى ما بدت لى جارتى
حتى يُوَارِىَ جارتى مأواها

لقد كان هذا فى أناس لم يُسلموا لله، ولم يدينوا بدين الحق، أليس من الأحرى بالمسلمين الذين عَرفوا حُسنَ الخلق وفضلَه أن يتحلوا بالأخلاق الحسنة مع الخَلْق، فيسلمَ الناسُ من أذاهم ويُنقّوا أنفسهم من الأخلاق الرديئة كالجهل والظلم والشهوة والغضب؟

وفقنا الله للأخلاق الحسنة، وهدانا للتى هى أقوم،

إنه ولى ذلك والقادر عليه

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

العلمـاء ورثة الأنبياء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

مستمعيَّ الكرام ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وأهلا بكم فى حلقة جديدة من برنامج «**قبس من نور النبوة**».

روى أبو داود والترمذى من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع.**

وإن العالم ليستغفرُ له مَنْ فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتانُ فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.

وإن العلماء ورثة الأنبياء.

وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما وَرَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

يعرض لنا الحبيب ﷺ صورة العالم حيّة ليُحْيِىَ بها قلوبَنا،

فيعرضُ لنا صورة طالب علم فى بداية طريقه، ثم ينقلنا فجأة إلى جزائه عند العليم القدير، إن خطواته فى الدنيا طالبًا للعلم عملٌ يستحق الجزاء الأوفى حتى قبل أن يشرب من نهر العلم الصافى، فإذا ما اشتد عودُه، وتلألأ نور العلم بين جنبيه إذا به يسطع فيضىء الدنيا بنورٍ يفوق نور العابدين، فينسابُ فى جو السماء وفى بحار الأرض فيتحولُ الكونُ كله نحو هذا النور مستغفرًا لصاحبه.

فى السماء: الطيوُر والسحابُ والنجومُ والكواكبُ والملائكةُ، وفى الأرضِ: البحارُ وما فيها، والبرارى وساكنوها، والجبالُ الراسيات، وسرعان ما يزولُ العجب وتتلاشى الدهشة عن قلوبنا حين يقول ﷺ «**وإن العلماء ورثة الأنبياء**» فلقد أعطى هذا العالِمُ ما أعطى الأنبياءُ فكان من ورثتهم.

إخوتى الكرام... يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

«الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه فى اليوم مرة أو مرتين، والعلمُ يُحتاج إليه بعدد الأنفاس».

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى معلقًا على حديث حلقتنا:

«الطريق التى يسلكها إلى الجنة جزاءٌ على سلوكه فى الدنيا

طريقَ العلم الموصلةَ إلى رضا ربه. ووضعُ الملائكة أجنحتها له تواضعًا، وتوقيرًا، وإكرامًا لما يحملُه من ميراث النبوة ويطلُبه، وهو يدل على المحبة والتعظيم. فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضعُ أجنحتها له! لأنه طالبٌ لما به حياةُ العالَم ونجاته، ففيه شبهٌ من الملائكة، وبينه وبينهم تناسب، فإن الملائكة أنصحُ خلق الله وأنفعُهم لبنى آدم، وعلى أيديهم حَصَلَ لهم كلُ سعادة وعلم وهدى، ومِنْ نفعهم لبنى آدم ونصحهم أنهم يستغفرون لمسيئهم، ويُثنون على مؤمنيهم، ويعينونهم على أعدائهم من الشياطين، ويحرصون على مصالح العبد أضعافَ حرصه على مصلحة نفسه، بل يريدون له من خير الدنيا والآخرة ما لا يريد العبدُ ولا يخطِر له ببال. كما قال بعض التابعين: وجدنا الملائكة أنصحَ خلقِ الله لعباده، ووجدنا الشياطينَ أغَشَّ الخلقِ للعباد.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾ [غافر:٧-٩]

فأى نصح للعباد مثل هذا إلا نُصحُ الأنبياء؟! فإذا طلب العبدُ

العلمَ فقد سعى فى أعظم ما ينصحُ به عبادَ الله، فلذلك تحبه الملائكة وتعظمه، حتى تضع أجنحتها له رضًا ومحبة وتعظيمًا.

وقوله ﷺ «**إن العالم ليستغفرُ له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتانُ فى الماء**، فإنه لما كان العالم سببا فى حصول العلم الذى به نجاةُ النفوس من أنواع المهلكات، وكان سعيه مقصورًا على هذا، وكانت نجاة العباد على يديه، جُوزى من جنس عمله، وجُعل مَنْ فى السموات والأرض ساعيًا فى نجاته من أسباب المهلكات، باستغفارهم له».

وإذا كانت الملائكة تستغفر للمؤمنين، فكيف لا تستغفر لخاصتهم وخلاصتهم.

مستمعىَّ الكرام....

ثم قال النبى ﷺ «**وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**» تشبيه مطابق لحال القمر والكواكب، فإن القمر يضيء الآفاق، ويمتد نورهُ إلى العالَم، وهذه حالُ العالِم. وأما الكوكب فنوره لا يجاوز نفسَه أو ما قرُب منه، وهذه حالُ العابد الذى يُضيءُ نور عبادته عليه دون غيره، وإن جاوز نورُ عبادته غيرَه فإنما يجاوزه غير بعيد، كما يجاوزُ ضوءُ الكوكب الكوكب مجاوزة يسيرة.

وفى التشبيه المذكور لطيفة أخرى، وهى أن الجهل كالليل

فى ظلمته، والعلماءُ والعُبّاد بمنزلة القمر والكواكب الطالعة فى تلك الظلمة، وفضلُ نور العالم فيها على نور العابد كفضل نور القمر على الكواكب.

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلو سواءَ الظلمةِ القمرُ
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها
ولا البصيرُ كأعمى ما له بَصَرُ

وقوله ﷺ «إن العلماء ورثة الأنبياء»

هذا من أعظم المناقب لأهل العلم، فإن الأنبياء خيرُ خلق الله، فورثتهم خيرُ الخلق بعدهم، ولَمّا كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته ـ لم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم فى تبليغ ما أُرسلوا به إلا العلماء، كانوا أحق الناس بميراثهم.

وفى هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليه، فإن الميراث يكون لأقرب الناس إلى الموروث، وهذا كما أنه ثابت فى ميراث الدينار والدرهم، فكذلك هو فى ميراث النبوة، والله يختص برحمته من يشاء.

وفيه أيضًا إرشادٌ وأمرٌ للأمة بطاعتهم، واحترامهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم، وإجلالهم، فإنهم ورثةُ مَنْ هذه بعضُ

حقوقهم على الأمة، وخلفاؤهم فيهم.

وفيه تنبيه على أن محبتهم من الدِّين، وبُغضهم منافٍ للدين، كما هو ثابت لموروثهم.

قال على رضى الله عنه: محبة العلماء دِينٌ يُدانُ اللهُ به

وقال الشاعر:

ولولا العلم ما سعدت نفوسٌ ولا عُرف الحلالُ من الحرامِ

وقوله ﷺ «إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم» فهذا من كمال الأنبياء وعِظَمِ نصحهم للأمم، وتمام نعمة الله عليهم، وعلى أممهم أن أزاح جميع العلل، وقسَم جميع المواد التى توهم بعض النفوس أن الأنبياء من جنس الملوك الذين يريدون الدنيا ومُلكها، فحماهم الله سبحانه وتعالى من ذلك أتم الحماية.

ثم قال ﷺ: «فمن أخذه أخذ بحظ وافر»

أعظم الحظوظ وأجداها ما نفع العبدَ ودام نفعُه له، وليس هذا إلا حظه من العلم والدين، فهو الحظ الدائم النافع الذى إذا انقطعت الحظوظ لأربابها فهو موصول له أبد الآبدين، وذلك لأنه موصول بالحى الذى لا يموت، فلذلك لا ينقطع ولا يفوت، وسائر الحظوظ تُعدم وتتلاشى متعلقاتها كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان:٢٣]

فإن الغاية لما كانت منقطعة زائلة تبعتها أعمالهم، فانقطعت عنهم أحوج ما يكون العامل إلى عمله، وهذه هى المصيبة التى لا تُجْبَرُ عياذًا بالله، واستعانة به وافتقارًا، وتوكلاً عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلنجتهد إذًا - إخوتى وأخواتى - فى تحصيل العلم النافع الذى به حياة القلوب ومن ثَمْ فَلْنُنَقِّ قلوبنا ونطيبها للعلم حتى تظهر بركته وينمو، كالأرض إذا طيبت للزرع نما زرعها وزكا...

قال أحد العلماء: حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شىء مما يكره اللهُ عز وجل، والقلب المظلم المشحون بالذنوب لا يستطيع استقبال الملائكة، ولا يبقى فيه مكان للعلم الذى هو نور يصدقه الله فى قلب من أراد من عباده الصالحين

قال الشافعى:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى

جعلنا الله وإياكم من أهل طاعته ومحبته،
وهدانا للتى هى أقوم،
وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

الصدق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد

مستمعى الكرام.. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.. وأهلاً بكم فى حلقة جديدة من برنامج «**قبس من نور النبوة**»...

روى البخارى ومسلم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا. وإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**».

أخى الكريم.. المسلم صادق يحب الصدق ويلتزمه ظاهرًا وباطنًا فى أقواله وفى أفعاله، إذ الصدق يُرشد ويوصل إلى البر وهو العمل الصالح، والبر يهدى صاحبه إلى الجنة، والجنة أسمى الغايات، وأقصى الأمانى عند المسلم.

ولا ينظر المسلم إلى الصدق باعتباره فضيلة ينبغى التخلق بها فحسْب، بل يذهب إلى أبعدَ من هذا، يذهب إلى أن الصدق من متممات إيمانه، ومكملات إسلامه إذ أمر الله تعالى به،

وأثنى على المتصفين به، قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩] وقال تعالى في الثناء على أهل الصدق ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

[الأحزاب:٢٣]

وحثَّ عليه النبي ﷺ في غير ما حديث كما في قوله ﷺ: «**إن تصدق اللهَ يصدقْكَ**» وقولِهِ «**أفلح إن صدق**» «**صدق الله فصدقه اللهُ**»

أخي الكريم.. إن الصدق يكون في الأقوال والأعمال والأحوال.

أما في الأقوال فهو استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

وأما في الأعمال فهو استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق.

وإذا الأمور تزاوجت ... فالصدق أكرمها نِتاجا
الصدق يعقد فوق ... رأس حليفه بالصدق تاجا
والصدق يقدَح زَنْدُه ... في كل ناحية سراجا

وللصدق مظاهر يتجلى فيها في حياة المسلم، منها:

١- في صدق الحديث، لأن المسلم إذا حدّث لا يُحَدِّثُ بغير الحق والصدق، وإذا أخبر لا يخبر بخلاف الواقع. ومن كان الصدق وسيلته، كان الرضا من الله جائزته

٢- في صدق المعاملة، لأنه إذا عامل أحدًا صدقه في معاملته، لا يَغُشُّ ولا يخادع، ولا يزوِّر ولا يغرِّر.

٣- في صدق عزمه، إذ لا يتردد في فعل ما ينبغي فعلُه، بل يمضي حتى ينجز عمله على ما يحب ربنا ويرضى.

٤- في صدق الوعد، إذ إن المسلم إذا وعد أنجز وعده.

٥- في صدق الحال، فهو لا يظهر في غير مظهره، ولا يُظهر خلاف ما يبطنه، فلا يلبس ثوب زور، لا يرائي ولا يتكلف ما ليس له، لقول رسول الله ﷺ «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**» رواه مسلم

ومعنى هذا أن المتزين والمتجمل بما لا يملك ليُرى أنه غني يكون كمن يلبس ثوبين خَلَقين ليتظاهر بالزهد، وهو ليس بزاهد ولا متقشف.

والصدق -أخي المستمع الكريم- يكون في مقامات الدين، التي منها المحاسبة والمجاهدة والتوبة، وقصةُ قاتلِ المائةِ نفسٍ دليلٌ على صدق صاحبها في توبته إلى الله عز وجل.

وقدومُ ماعزٍ والغامدية إلى النبى ﷺ واعترافُ كلٍ منهما على نفسه بالزنا، وطلبُه من رسول الله ﷺ أن يقيم عليه الحد ليطهره دليل على صدق توبتهما. واعترافُ كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك دون عذر دليل على صدق توبته كذلك. ويكون الصدق فى التوكل على الله، وفى الخوف منه، وفى الرضا بقضائه، وفى الاستقامة على أمره، وفى الدعاء، وفى تعظيم الحرمات، وفى الحياء والحب والشوق إلى الله.

وقد علمنا النبى ﷺ أن نكون صادقين مع أولادنا حتى نزرع فيهم شجرة الصدق فتثمر فى حياتهم أحلى الثمار وأشهاها.

فعن عبد الله بن عامر رضى الله عنه قال:

دعتنى أمى يومًا ـ ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا ـ فقالت: تعال أعطك. فقال لها رسول الله ﷺ: **ما أردت أن تعطيه؟** قالت: أردت أن أعطيه تمرًا. فقال لها: «**أما إنك لو لم تعطه شيئًا كُتبَ عليك كِذبة**».

انظر معى أخى المستمع الكريم وتأمل كيف ظل هذا الموقف فى صدر هذا الغلام حتى كبر ورواه لتلاميذه لينقل إلينا.

إن الصادق مع الله يورثه الله الصدق مع أهله ومع الناس، لأن الصدق جرى فى دمه وخالط اللحم والعظم، ولذا فهو ما زال يصدق ويتحرى الصدق حتى تفيض شهرته بالصدق فى

الأرض، ثم تنطلق إلى السماء فيكتب عند الله صديقًا.

وللصدق أخى المستمع الكريم ثمرات طيبة يجنيها الصادقون:

١- منها راحة الضمير، وطمأنينة النفس لقول رسول الله ﷺ: الصدق طمأنينة.

٢- ومنها البركة فى الكسب، وزيادة الخير، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**البيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما فى بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**».

٣- ومنها الفوز بمنزلة الشهداء لقوله ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**».

٤- ومنها النجاة من المكروه، لأن الصدق منجاة. وقد حُكى أن هاربًا لجأ إلى أحد الصالحين وقال له: أخْفِنى عن طالبى. فقال له:نم هنا، وألقى عليه حزمة من خوص، فلما جاء طالبوه وسألوه عنه قال لهم: هو ذا تحت الخوص، فظنوا أنه يسخر منهم فتركوه، ونجا ببركة الصدق.

أخى الكريم... كل ما مضى لأجل الفوز بالجنة حين يصدق المرء مع الله تعالى ومع نفسه ومع الناس ليهديه الصدق إلى البر وصالح العمل، ومن ثَمَّ الجنة.

ثم حذر النبى ﷺ من الكذب الذى يسوق صاحبه إلى

الفجور والعصيان وبدوره يسوق صاحبه إلى النار، ويكذب المرء ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا.

والكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم! لسوء عواقبه وخُبث نتائجه، لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمنٌ ولا راحة.... وقد قيل: مَنْ قَلَّ صِدْقُه، قلَّ صديقُه.

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به
إن اللسان لما عوّدت معتادُ
مُوَكَّلٌ بتقاضى ما سَنَنْتَ له
فى الخير والشر فانظر كيف ترتادُ

واعلم أخى الكريم أن الصدق يُنجى صاحبه وإن خافه، وأن الكذب يُردى صاحبه وإن أَمِنه. ونُسب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لأنْ يَضَعَنِى الصدق ـ وقلما يفعل ـ أحبُّ إلىّ من أن يرفعنى الكذب وقلما يفعل.

وقيل: من استحلى رضاع الكذب عَسِر فطامُه.

ألا... فلنصدق إخوانى الكرام فى حياتنا كلها، ولنعلّم أبناءنا الصدق، ونجنب أنفسنا وأبناءنا الكذب...

وفقنا الله تعالى للتى هى أقوم، وهدانا وإياكم سواء السبيل، وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

الأخوة الإيمانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

مستمعىَّ الكرام ـ سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وأهلا بكم فى حلقة جديدة من برنامج «**قبس من نور النبوة**» وحلقة اليوم إخوتى وأخواتى عن الأخوة الإيمانية.

روى مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض. وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره. التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**».

«**كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله وعرضه**»

أيها الأخوة... العمل بهذا الحديث من أعظم الأسباب الموصلة للتآلف بين المسلمين وقلة الشحناء بينهم. فالمؤمنون إخوة فى النسب إلى أبيهم آدم عليه السلام. وإخوة فى الدِّين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبّك بين أصابعه**» رواه البخارى ومسلم. وقال عليه السلام: «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» رواه البخارى ومسلم

ولهذا قال ﷺ: لا تحاسدوا: أى لا يحسد بعضكم بعضا.

والحسد: تمنّى زوال النعمة عن أخيك المسلم وهو حرام لأنه اعتراض على الله تعالى فى نعمته وقسمته.

ولا تناجشوا: والنجش أن يزيد فى السلعة مَنْ لا يريد شراءها لِيَغُرَّ غيره بها وهو حرام لأنه من أسباب العداوة والبغضاء.

ولا تباغضوا: أى لا يُبغض بعضُكم بعضًا بتعاطى أسباب البغضاء من السّب والشتم واللعن والغيبة والنميمة. والتباغض المذموم هو الذى منشؤه التنافسُ فى الدنيا واتباع الأهواء. أما الحب فى الله والبُغْض فى الله فهو أوثقُ عُرى الإيمان.

ولا تدابروا: والتدابر التهاجر والتقاطع، فإن كُلاً من المتقاطعين يُولّى صاحبه دُبرَه ويُعرض عنه ولا يسلّم عليه ولا يرد عليه السلام.

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان.. فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**»

ثم قال ﷺ: «**ولا يبع بعضكم على بيع بعض...**» وصورته أن يقول لمن اشترى سلعة: افسخ هذا البيع وأنا أبيعُك مثلَه أو أجودَ منه بثمنه. والنهى للتحريم لما فيه من الإيذاء الموجب للتباغض.

ولذا أخى المستمع ـ قال النبى ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخواناً**» ففيه إشارة إلى أنهم إذا تركوا التحاسد والتناجش والتباغض والتدابر وبيع بعضهم على بعض كانوا إخوانًا أى تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوان، ومعاشرتهم فى المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون فى الخير مع صفاء القلوب والمحبة.

ثم قال النبى ﷺ: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ولا يكذبه، فالمسلم ينصر أخاه ظالمًا أو مظلومًا. أنصره ظالمًا حين أمنعه عن الظلم، وأما احتقار المسلم فهو ناشئ عن الكِبْر وقد حذر النبى ﷺ من احتقار الناس والتكبر عليهم. وأمر بالتواضع وعدم الفخر على الناس.

ثم قال ﷺ: التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات.

لا شك أخى المستمع أن الإيمان أصلُه فى القلب وثمرتُه

على الجوارح فهو قول واعتقاد وعمل، وحب وبغض، وفعل وترك، وليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى، ولكنه ما وقر فى القلب وصدَّقه العمل. ثم قال ﷺ «كل المسلم على المسلم حرام... دمه وماله وعرضه».

وهذا مما خطب به النبى ﷺ فى خطبة الوداع تعليمًا للأمة كلها وإرشادا.

إخوتى الكرام...

وشروط الأخوة الإيمانية أن تكون لله وفى الله، بحيث تخلو من شوائب الدنيا وعلائقها المادية بالكلية. ويكون الباعث عليها الإيمان بالله لا غير.

ـ وأما آدابها فأن يكون الأخ الذى تختارهُ لأخوتك عاقلاً! لأنه لا خير فى أخوة الأحمق وصحبته، إذ قد يضر الأحمقُ الجاهلُ من حيث يريد أن ينفع.

ـ وأن يكون حسنَ الخُلق! لأن سيئ الخُلق ـ وإن كان عاقلاً ـ قد تغلبه شهوة أو يتحكم فيه غضب فيسيئ إلى صاحبه.

ـ وأن يكون تقيًا! لأن الفاسق الخارج عن طاعة ربه لا يُؤمَنُ جانبُه، إذ مَنْ لا يخاف الله تعالى لا يخاف غيره بحال من الأحوال.

ـ وأن يكون ملازمًا للكتاب والسنة بعيدًا عن البدع والخرافات، لأن المبتدع قد ينال أخاه الأذى من شؤم بدعته وضلالته.

أخى المستمع... لقد أوجز هذه الآدابَ أحدُ الصالحين وهو يوصي ولده فقال: «يا بنى إذا عَرَضَتْ لك إلى صحبة الرجال حاجةٌ فاصحب مَنْ إذا خدمته صانك، وإن صحبتَه زانك، وإن قَعَدَتْ بك مُؤْنةٌ مانَكَ. اصحب من إذا مددتَ يدكَ بخير مَدَّها، وإن رأى منك حسنةً عدَّها، وإن رأى سيئة سدَّها، اصحب من إذا سألتَه أعطاك، وإن سكتَّ ابتداك، وإن نزلت بك نازلةٌ واساك. اصحب من إذا قلتَ صدَّق قولَك، وإن حاولتما أمرًا أمَّرك، وإن تنازعتما شيئًا آثرك»

وقد أحسن من قال:

إنَّ أخاكَ الحقَّ من كان مَعَك ... ومَنْ يضرُّ نفسَه لينفَعَكْ
ومَنْ إذا ريبُ الزمانِ صَدَعكْ ... شتَّتَ فيه شَمْلَهُ ليَجْمَعَكْ

أخى المستمع الكريم

لقد بَيَّنَ النبى ﷺ لنا حقوق المسلم على أخيه فقال ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: قيل يا رسول الله وما هن؟ قال:

١ – إذا لقيتَه فسلّم عليه

٢- وإذا دعاك فأجبه

٣- وإذا استنصحك فانصح له

٤- وإذا عطس فحمد الله فشمِّته

٥- وإذا مرض فَعُدْه

٦- وإذا مات فاتَّبعه » رواه مسلم

مستمعِيَّ الكرام... وللأخوة حقوق ذكرها العلماء منها:

١- المواساة بالمال (أى المعاونة والمساعدة) فيواسى كل منهما أخاه بماله إن احتاج إليه. بحيث يكون دينارهما ودرهمهما واحدًا لا فرق بينهما فيه.

رُوى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه أتاه رجل فقال: إنى أريد أن أؤاخيك فى الله. قال: أتدرى ما حق الإخاء؟ قال: عرِّفنى. قال: لا تكون أحق بدينارك ودرهمك منّى. قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد. قال: فاذهب عنى

٢- أن يكون كلٌ منهما عونًا لصاحبه، يقضى حاجته ويقدمها على نفسه، يتفقد أحواله ويؤثره على نفسه، إن كان مريضًا عاده، وإن كان مشغولا أعانه، وإن كان ناسيًا ذكّره، يرحّب به إذا دنا، ويوسّع له إذا جلس ويصغى إليه إذا حدث.

وما المـــــرء إلا بإخوانه ... كما تقبض الكفُّ بالمِعْصَمِ

ولا خيرَ فى الكفِّ مقطوعةً ... ولا خيرَ فى الساعد الأَجْذَمِ

٣- أن يكف عنه لسانه إلا بخير، فلا يذكر له عيبًا فى غيبته أو حضوره، ولا يستكشف أسراره، أو التطلع إلى خبايا نفسه، يتلطف فى أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر. قال الشافعى: (من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه).

٤- أن يعطيه من لسانه ما يحبه منه، فيدعوه بأحب أسمائه إليه، ويذكره بالخير فى الغيبة والحضور. يعفو عن زلاته ويتغاضى عن هفواته. قال أبو الدرداء «إذا تغير أخوك، وحال عما كان عليه فلا تَدَعْه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوجُّ مرة ويستقيم أخرى.

ولقد أحسن القائل ولله دره:

أتدرى أين سُكْناهُ؟!

أتدرى أين سكناهُ ... أخوك وأين مسعاهُ؟

وهل عيناك تثبتهُ ... إذا فاتتك عيناهُ؟

أخوك يعيش كالتاريخ ... فى جنبيك مسراهُ

بلا لغةٍ تصافحه   وتدمع حين تلقاهُ
لئن ضاقت به الدنيا   فصدرك أنت مأواه

وتسمو دونما منٍّ   تخفف عنه بلواه
وترفع دونه حملاً   إذا كَلّتْ ذراعاهُ
لئن ضاقت به الدنيا   فصدرك أنت مأواه

وتسدل حوله سترًا   إذا الشيطان أغواه
ترى أُخْرَاك مثمرةً   فقد أَخْصَبْتَ دنياه
لئن ضاقت به الدنيا   فصدرك أنت مأواه

وهذا وبالله التوفيق

قصر الأمل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ـ وبعد

مستمعِيَّ الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته... وأهلاً بكم فى حلقة جديدة من «**قبس من نور النبوة**».

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال:«أخذ رسول الله ﷺ بمَنْكِبِيَّ فقال: **كُنْ فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**. وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» رواه البخارى.

أخى المستمع الكريم... هذا الحديث أصل فى قصر الأمل فى الدنيا، فإن المؤمن لا ينبغى له أن يتخذ الدنيا وطنا ومسكنًا فيطمئن فيها، ولكن ينبغى أن يكون فيها كأنه على جناح سفر، وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم قال تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون أنه قال ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ [غافر:٣٩] وكان ﷺ يقول: «**مالى**

وللدنيا، إنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب قال فى ظل شجرة ثم راح وتركها». ومن وصايا المسيح عليه السلام أنه قال لأصحابه عن الدنيا: اعبروها ولا تعمروها.

ودخل رجل على أبى ذر رضى الله عنه فجعل يُقلّبُ بصره فى بيته فقال: يا أبا ذر، أين متاعكم؟ فقال: إن لنا بيتًا نتوجه إليه. فقال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا. فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا ها هنا.

ودخلوا على بعض الصالحين فقلبوا بصرهم فى بيته فقالوا: إنا نرى بيتك بيت رجل مرتحِل، فقال: لا أرتحلُ، ولكن أُطردُ طردًا.

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: «إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكلٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.

أخى الحبيب... وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة ولا وطنًا، فينبغى للمؤمن أن يكون حاله فيها على أحد حالين: إما أن يكون كأنه غريب مقيم فى بلد غربة همُّه التزود للرجوع إلى وطنه، أو يكون كأنه مسافر غير مقيم البتة. بل هو ليلَه ونهارَه

يسير إلى بلد الإقامة. وهذا ما يبينه حديث حلقتنا، لقد شبه النبى ﷺ الناسكَ السالكَ لطريق الآخرة بالغريب الذى ليس له سكن يؤويه ولا مسكن يسكنه، ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل! لأن الغريب قد يبقى فى بلاد الغربة مدة، بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع، وبينهما أودية مُردية، ومفاوزُ مهلكة، وقطاع طريق، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة.

سبيلك فى الدنيا سبيلُ مسافرٍ ... ولا بُد من زادٍ لكل مسافرِ
ولا بد للإنسان من حَمْل عُدَّةٍ ... ولا سيما إن خاف صولة قاهرِ

وقوله: (خذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك) يعنى: اغتنم الأعمال الصالحة فى الصحة قبل أن يحول بينك وبينها السَقَمُ. وفى الحياة قبل أن يحول بينك وبينها الموت.

قال أبو حازم رحمه الله: إن بضاعة الآخرة كاسدة يوشك أن تَنْفَقَ، فلا يوصلُ منها إلى قليل ولا كثير. ومتى حِيل بين الإنسان والعمل لم يبق له إلا الحسرةُ والأسفُ عليه، ويتمنى الرجوعَ إلى حال يتمكن فيه من العمل فلا تنفعه الأمنية. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ

إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون:١٠-١١] وفى الترمذى عن أبى هريرة مرفوعًا: «ما من ميت يموت إلا ندم. قالوا: وما ندامته؟ قال: إن كان محسنًا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ندم أن لا يكون استعتب» أى رجع عن الإساءة وطلب الرضا.

أخى المستمع الكريم... فإذا كان الأمر على هذا فيتعين على المؤمن اغتنامُ ما بقى من عمره، فاليومُ الذى يمضى لا يعود

مضى أمسُك الماضى شهيدًا مُعَدَّلا ... وأعقبه يومٌ عليك جديدُ
فإن كنتَ بالأمسِ اقترفتَ إساءةً ... فَثَنِّ بإحسانٍ وأنتَ حميدُ

أيها المستمع الكريم.... ومما أُثر عن لقمان الحكيم: «يا بُنى إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناسٌ كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعُها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو، وما أراك ناجيًا»

أيا من عاشَ فى الدنيا طويلا ... وأفنى العمَر فى قِيلٍ وقالِ
وأتعبَ نفسَه فيما سَيَفْنَى ... وجَمَّعَ من حرامٍ أو حلالِ

هَبِ الدنيا تُقاد إليك عفوًا ... أليس مصير ذاك إلى زوال؟

وما أحسن ما قال أحدُ الوعاظ هب الدنيا فى يديك، ومثلَها ضُمّ إليك، والمشرقَ والمغربَ جاءا إليك، فجاءك الموت... ماذا فى يديك؟ وإذا كنا معاشر الإخوان الكرام واثقين من هذا المصير، فلماذا لا نركب سفينة النجاة ونكون ممن عناهم القائل بقوله:

إنَّ لله عبادًا فُطَنا ... طَلَّقُوا الدنيا وخافُوا الفِتَنَا
نظروا فيها فلمَّا عَلِموا ... أنها ليست لِحَيٍّ وَطَنَا
جعلوها لُجَّةً واتخذوا ... صالحَ الأعمالِ فيها سُفنا

أخى الكريم... وأما وصية ابن عمر رضى الله عنهما فهى مأخوذة من الحديث نفسه، وهى متضمنة لنهاية قصر الأمل، وأن الإنسان إذا أمسى لا ينتظر الصباح، وإذا أصبح لا ينتظر المساء، بل يظن أن أجله يُدرك قبل ذلك.

وما أدرى وإنْ أَمَّلْتُ عمرًا ... لَعَلِّى حين أُصْبِحُ لَسْتُ أُمْسِى

وفى الأثر أن نبى الله عيسى كان يسير فى طريق فلقيه رجل فقال له أسألك الصحبة يا روح الله. فأذن له، وكان مع عيسى عليه السلام ثلاثة أرغفة. فأعطاه رغيفا وأخذ رغيفا وأبقى الثالث للحاجة. ثم ذهب عيسى لقضاء حاجة ورجع فلم

يجد الرغيف الثالث فسأل صاحبه أين الرغيف؟ فقال الرجل: لا أدرى. ثم سارا فوجد عيسى ظبيًا فدعاه فذبحه وشواه وأكلاه ثم قال له: قم بأمر الله، فقام الظبى يجرى فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: لا أدرى

ثم مر عيسى بجبل فقال: كن ذهبا بإذن الله فكان ذهبا فقال عيسى بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال الرجل لا أدرى.

فقال عيسى: إذًا نقسم الجبل ثلاثا: ثلث لى وثلث لك وثلث لصاحب الرغيف الثالث. فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث.

فقال له عيسى: خذ الجبل كله ولكن لا تصحبنا (فخسر الرجل صحبة نبى الله) ثم طلع على الرجل قَاطِعًا طريقٍ فأرادا قتله فقال لهما لا تفعلا ولنقسم الجبل، ثم ذهب أحدهم ليأتى لهم بطعام وأضمر فى نفسه أن يَسُمَّهما. وكذلك اجتمعا على قتله حين يرجع بالطعام. فلما رجع وثبا عليه فقتلاه ثم أكلا الطعام فماتا. فمر عيسى وحَوَارِيُّوه على هؤلاء الثلاثة فقال لهم عيسى: هذه الدنيا فاحذروها.

أخى الحبيب... إذا علمنا هذا فينبغى ألا نطيل الآمال فى الدنيا، ولكن منها على حذر (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور).

ولقد أحسن من قال:

نسبه النووى فى شرحه للأربعين للشافعى رحمه الله تعالى

وَمَنْ يَذُقِ الدنيا فإنى طَعِمْتُها ... وسِيقَ إلينا عَذْبُها وعَذَابُها

فلم أرَها إلا غُرورًا وباطلا ... كما لاَحَ فى ظَهْرِ الفَلاةِ سَرابُها

وما هى إلا جيفةٌ مستحيلَةٌ ... عليها كلابٌ همُّهنُ اجتذابُها

فإن تجتَنِبْها كنتَ سِلْمًا لأهلها ... وإن تجتذبها نازَعَتْكَ كِلاَبُها

فَدَعْ عنك فضْلاتِ الأمورِ فإنها ... حرامٌ على نَفْسِ التَّقى ارتكابُها

اللهم ارزقنا العلم وخير العمل، واجعل خير عمرنا آخره، وخير أعمالنا خواتمها، وأحسن قدومنا عليك.

هذا وبالله التوفيق

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

الاستقامة

حمداً لله وصلاة وسلامًا على رسول الله وبعد

مستمِعِيَّ الكرام... سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وأهلاً بكم فى حلقة جديدة من برنامج «**قبس من نور النبوة**».

إخوتى الكرام:

يؤمن المسلم بأن سعادته فى حياته الدنيا والآخرة موقوفة على مدى تأديب نفسه، وتطييبها، وتزكيتها، وتطهيرها، كما أن شقاءها منوط بفسادها وتدسيتها وخبثها، وذلك لقوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾[الشمس:٩-١٠].

ولهذا فهو يحرص أشد الحرص على التمسك بأسباب الاستقامة على المنهج القويم فى هذه الحياة لتسلم له حياته الدنيا، ويسعد فى حياته الأخرى.

مستمعى الكرام... إن الاستقامة من شأنها أن ترقى بالإنسان، وتصل به إلى الذُّرْوَةِ من الكمال، وتحفظ عقله وقلبه من أن يتطرق إليهما الفساد، وتصون نفسه من التردى فى حمأة الرذيلة.

وإذا سيطرت الرغبة فى الاستقامة على جماعة وسادت بينهم، حسنت أحوالهم، واستقامت أمورهم، وعمهم الأمن والسلام.

وإذا ضعفت الرغبة فى الاستقامة ضعف الإقبال على الخير، وعظم التورط فى الإثم وفشا المنكر، وتعرض الفرد والجماعة للانحراف والخطايا والانحلال الذى يعقبه سلب الحرية والاستقلال.

ولهذا اهتم الإسلام بالاستقامة اهتمامًا كبيرا، وأولاها عناية خاصة، فروى مسلم فى صحيحه من حديث سفيان بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**».

وقال ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظُ على الوضوء إلا مؤمن**» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**قاربوا وسدّدوا، واعلموا أنه لن ينجو أحدٌ منكم بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل**» رواه مسلم.

- والمقاربة: القصد الذى لا غُلُوَّ فيه ولا تقصير

- والسداد: الاستقامة والإصابة

قال العلماء: معنى الاستقامة لزوم طاعة الله تعالى، وهى من جوامع الكلم، وهى نظام الأمور. ولذا قيل: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة. فالاستقامة كلمة جامعة آخذةٌ بمجامع الدِّين، وهى القيام بين يدى الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد.

والمطلوب من العبد الاستقامة وهى السداد، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة فإن نزل عنها فيكون التفريط والإضاعة.

والاستقامة ـ إخوتى الكرام ـ هى سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيِّم من غير تعريج عنه يَمْنَةً ولا يَسْرَةً، ويشمل ذلك فعلَ الطاعاتِ كلِّها، وتركَ المنهيات كلِّها. وأصلُ الاستقامة: استقامةُ القلبِ على التوحيد، فمتى استقام على معرفة الله وخشيته وإجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه، والإعراض عما سواه استقامت الجوارح كلها على طاعته، فإن القلبَ مَلِكُ الأعضاء، وهى جنوده فإذا استقام الملك استقامت الجنود والرعايا. وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب هو اللسان، لأنه ترجمان القلب والمعبِّر عنه، ولهذا قرن النبى ﷺ بين استقامة القلب واستقامة اللسان، فقال عليه السلام: «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبُه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيمَ لسانه**».

ولذا فإن الأعضاء والجوارح تجتمع على اللسان حين يصبح

ابنُ آدم وتقول له: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا.

مستمعى الكرام... لقد جاءت الدعوة إلى الاستقامة فى مواطن من القرآن الكريم، منها الأمر المباشر للنبى ﷺ «**فاستقم كما أمرت**» وقوله «**فاستقيموا إليه واستغفروه**» ومنها الحثُ على الاستقامة والحضُ عليها وبيان النتائج المترتبة عليها، كما فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢]

وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأحقاف:١٣-١٤].

والله تعالى يتولى الهداية إلى الاستقامة ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج:٥٤] ونبينا ﷺ يدعو بسلوكه ويبين أوضح بيان هذه الاستقامة «**وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**».

والمسلمون يهتفون من أعماقهم كل يوم وليلة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ [الفاتحة:٤-٧]

إخوتى الكرام... ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فلقد كان أحبُّ الدِّين إليه ـ كما تقول أمنا عائشة رضى الله عنها ـ ما داوم صاحبُه عليه.

ولذا فالواجب علينا أن نحافظ على الأعمال الصالحة، فروضًا ونوافلَ، ونستمر على فعلها ابتغاء وجه ربنا عز وجل، ولتكن استقامتنا كاستقامة سلفنا الصالح. فلقد سئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئًا، فأراد بها الاستقامة على محض التوحيد.

وفسرها الفاروق عمر رضى الله عنه بالاستقامة على الأمر والنهى فقال: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهى، ولا تروغ روغان الثعالب.

قال الشاعر:

كُلَّ يوم تتلوَّن غيرُ هذا بك أَجْمَلْ

قال بعض أهل العلم: لا يكن حال الرجل كحال الكلب

يأتى إلى السبع ويقول: يا ملك الغابة غيِّر لى اسمى. فإن (كلب) اسم قبيح. فيقول له السبع: إذن فاحتفظ بقطعة اللحم هذه إلى الليل، فإن احتفظت بها غيَّرنا لك الاسم فإذا كان عند الظهيرة واشتد به الجوع، نظر إلى قطعة اللحم وقال: كلب. كلب إن (كلب) اسم جميل ثم التهم قطعة اللحم. فلما كان الليل أتى إلى الأسد فقال له: غيِّر لى اسمى. فقال له السبع: ائتمناك بعض يوم على قطعة من اللحم فلم توفِّ، فكيف نأتمنك على الاسم الجميل؟

وقال على بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهما: الاستقامة أداء الفرائض وقال الحسن: استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته. وقال عثمان رضى الله عنه استقاموا أخلصوا العمل لله.

فأنت ترى ـ أخى المستمع الحبيب ـ أن معانى الاستقامة تدور على الإخلاص لله عز وجل، وعلى محبة الله وعبوديته والعمل بطاعته وترك معصيته، إذن فلنشمِّر عن ساعد الجد والاجتهاد، ولنداوم على فعل الطاعات والمسابقة والمسارعة إلى الخيرات، ولنملك ألسنتنا، ولنستثمر أوقاتنا فيما يعود علينا نفعه فى الآخرة.

نُسب إلى أحد السلف قولُه: لا يجد طعم العبادة من هَمّ بمعصية.

وقوله «لا يكون هَمُّ أحدكم فى كثرة العمل، وليكنْ هَمُّه فى إحكامه وتحسينه...

وقال وهيبُ بن الورد رحمه الله: لأن أدع الغيبة أحبّ إلى من أن يكون لى الدنيا منذ خلقت إلى أن تفنى فأجعلها فى سبيل الله.

ولأن أغض بصرى أحب إلىّ من أن تكون لى الدنيا منذ أن خلقت إلى أن تفنى فأجعلها فى سبيل الله.

ولله ما أجملَ قولَه فى ترك ظاهر الإثم وباطنه قال: اتق الله أن تَسُبَّ إبليس فى العلانية وأنت صديقه فى السِّر.

وقانا الله وإياكم - أيها المستمعون الكرام - الفتن، ما ظهر منها وما بطن وثبتنا وإياكم على الطريق المستقيم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته

الفهرس

الموضـــــوع — الصفحة